

نحري أبو السعدي

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

مع مدح من عصره وإشارات إلى آتاء النثر

تأليف: عبد العليم القباني



إهداء 2006

ورثة الكيميائي/ محمد فاروق الفران
الإسكندرية

حَفَرِيَّ ابْنُ السَّعْدِ

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ١٣٧ —

(٩٢)

تأليف

(٦٧)

أدب

القاهرة

١٣٦٣ هـ - ١٩٧٣ م

من شعراء الإسكندرية:

خزيم بن الجهم السعدي

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

مع مدائح من عصره وإشارات إلى آثاره النثرية

تأليف: عبد العليم القباني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لم ينل الشاعر « فخرى أبو السعود » العناية التي يستحقها من الباحثين ، على الرغم من أنه يقف في الطليعة من شعراء جيله ، بل لأنه لم ينل من هذه العناية شيئاً على الإطلاق إذا استثنينا بضع مقالات تنسم بطابع التأبين والوفاء ظهرت عقب وفاته سنة ١٩٤٠ ثم لم يذكره بعد ذلك أحد ، غير الأستاذ « رجاء النقاش » في كلمة عابرة ضمن كتابه تماثيل مكسورة .

كذلك لم ينل نصيبه من الشهرة التي هو جدير بها ، والتي نالها الكثيرون ممن هم أقل منه علماً وأدباً وشعراً .

ولست أدري ما الذي دعا مجتمعه إلى إهماله حياً ، وإلى أن يمحّد آثاره ميتاً ، إلى هذا الحد المريب . قد نرى أن وجوده بالإسكندرية كان من أسباب ذلك ، وقد نضيف إلى هذا ، بعده عن التيارات الحزبية التي كانت ترفع من تشاء وتخفض من تشاء في عصره ، وقد يكون لانطوائيته وبعده عن « الشلل » التي كانت تضم الأدباء في الإسكندرية — كما كانت في القاهرة — نصيب من هذا التنكر كبير ، ثم قد يكون لحظه بعد ذلك كله ، نصيب أكبر من هذا الذي سقناه ، في أسباب إهمال آثار الرجل الفكرية والأدبية . فقد وعدت « وزارة المعارف العمومية » آنذاك ، بطبع كتابيه « محمود سامي البارودي » و « الخلافة السياسية » وجاء هذا الوعد في كلمة وزيرها بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩ تكرّماً للمتسابقين من رجالها الذين فازوا في مسابقتها ، ونال الشاعر عن هذين الكتّابين جائزتين رئيسيتين ، غير أن الكتّابين لم يريا النور إلى الآن .

كذلك كان الأستاذ « أحمد حسن الزيات » قد وعد بطبع مجموعة المقالات النقدية التي نشرها الشاعر بمجلة الرسالة ، ولكن الظروف التي اعترضت الأستاذ الزيات كانت أقوى من وعده ، فلم يخرج الكتاب إلى عالم المطبوعات حتى هذا التاريخ .

ولم تشهد المكتبة العربية للشاعر « فخرى أبو السعود » غير كتابيه « الثورة العراقية » وقد نشره الشاعر سنة ١٩٣٤ عند تعيينه بالمدرسة العباسية و « تس . سليمة آل دريرفيل » وهو قصة ترجمها عن « توماس هاردى » ونشرتها لجنة التأليف والنشر كأول حلقة في سلسلتها « عيون الأدب الغربي » .

وعلى الرغم من الكثرة الكاثرة من المقالات والقصائد التي نشرها الشاعر بمجلات الرسالة والثقافة والحلال والمقتطف وغيرها ، وبصحيفة الأهرام ، فإن أحدا لم يهتم بكتابة دراسة وافية عنه ، مع أن أغلب أشعاره وكتاباته كانت من الطراز الأول .

والذي أقدمه اليوم — في هذا الكتاب المتواضع — هو أول عمل أدبي يتناول حياته وشعره ، وقد لجأت — لكي يحقق هذا العمل هدفه — إلى ما وصلت إليه يدي من مقالاته وأشعاره وإلى القليل الذي كتبه عنه زملاؤه وإلى ما سمعت عنه من معاصريه ، والذين عاشروه بحكم الحوار ، أو بحكم العمل ، وإلى ذاكرتي في قليل من الأحيان .

وبدأت البحث بأن بينت في إيجاز ، المبررات التي جعلتني أعتبره من شعراء الإسكندرية بالوفادة ثم تكلمت عن لقائي الأول والأخير له ، وتناولت بعد ذلك حياته وشعره في بحث خاص سميت به « مع الشاعر في مأساته » اعتمدت فيه على المصادر السابق ذكرها ، وعلى ما استنتجته من شعره ومقالاته منذ سفره إلى إنجلترا ، وعودته منها إلى الإسكندرية ، وإقامته بها حتى أدركته منيته باذلاً أقصى ما أملك من جهد ، في بيان التطورات النفسية التي عاناها الشاعر والتي انتهت بمصرعه . ثم تكلمت

في فصل ثان عن انجمااته الشعرية ، فقسمت شعره إلى ثلاثة انجمايات رئيسية ، وهي الشعر الوطني ، والشعر الوجداني ، والشعر الوصفى ، ومهدت للحديث عن شعره الوطنى بعرض موجز للحالة السياسية فى مصر على أيامه ، واستشهدت ببضعة نماذج من شعره ، مبينا الظروف السياسية الموحية لكل أنموذج .

والحق إن وطنيته وحبه لبلاده ، ولعروبتة ، قد تجلى فى هذا الجانب من شعره إلى الحد الذى يثير الإعجاب ويحث على التقدير .

كذلك مهدت للحديث ، عن شعره الوجداني ، بكلمة عن الشعر الذائق ، وضرورته إلى جانب الشعر الموضوعى ، ولما كان الفصل الأول الذى خصصته عن حياته وشعره قد استوعب الكثير من نماذج شعره الوجداني فلأنى لم أشأ الإطالة فى هذا الفصل ، واعتبرت أن ماسبق أن أوردته ، يكفى فى هذا المجال ، ومن هنا رأيت أن أختصر فى هذا القسم من الفصل ، على الحديث عن المرأة فى شعره وما لها من أثر عليه ، وعلى حياته أيضا .

وأما الشعر الوصفى فقد بدأته بتمهيد يبين رأى الشاعر فى الشعر الوصفى ، مع تعليقات أضفتها إلى أقواله ، ثم استشهدت بنماذج من شعره معلقا عليها بما يساعد على إيضاها .

وكان الفصل الثالث من هذا البحث عبارة عن مختارات من شعره ، إذ رأيت أن أجمع فى هذا الفصل طائفة من قصائده التى قد يشوها البتر والتى تمثل — فى نظرى — أكمل ألوان فنه الشعرى ، ولذا كان لاشيء هناك يدل على الشاعر كما يدل عليه شعره ، فقد رأيت فى هذه القصائد — التى اخترتها هنا — أكمل أداة تعريف بالشاعر .

وكان الفصل الرابع والأخير عبارة عن مختارات من أقوال الشاعر النقدية ، ولم أشأ الإطالة فيها ، وإنما اكتفيت ببضعة نماذج قصيرة تكفى لبيان الغرض المطلوب وإلا فإن الكتابة عن فخرى أبوالسعود

كناقد ، ومؤرخ للأدب ، وباحث فى التاريخ والاجتماع ، ومترجم
من الطراز الأول ، محتاج إلى كتاب آخر .

ثم أجملت حياة الشاعر فى سطور قليلة أنهيت بها الكتاب تسهيلا
لمن يريد الإلمام السطحى العاجل بالشاعر وحياته .

وبعد فإن الثلاثين سنة التى عاشها « فخرى أبو السعود » كانت
شجرة مباركة أثمرت الكثير . . ولعل من ثمراتها « هذا الكتاب »
الذى أقدمه لقراء الأدب العربى بعامة ، والشعر بخاصة ، والذى
أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، إلى الحد الذى يرضى الأدب ،
ويرضى الوفاء أيضا للرجل ، الذى وهب فنه وعلمه وأدبه لأمته .
ثم مات فلم ينصفه جيله . . ولا زمنه .
وما توفيقى إلا بالله . . عليه توكلت ، وإليه . . أنيب .

عبد العلم القباني

الإسكندرية

فخرى أبو السعود والإسكندرية

إن الصلة التي تربط بين « فخرى أبو السعود » وبين « الإسكندرية » ، وثيقة إلى حد كبير ، فهو — وإن كان — قد أمضى الشطر الأكبر من حياته القصيرة في القاهرة إلا أن نضوجه الفني ، نما وأتى ثماره بالإسكندرية .

والذي يتتبع حركات التطور الفني عند « فخرى أبو السعود » يرى أن طاقته الفنية ، تفتحت الى حد ما في أثناء إقامته بالبحر الأحمر في بعثة « وزارة المعارف » التعليمية لدراسة اللغة الإنجليزية ، حيث راح يبعث — من هناك — بقصائده إلى مجلة الرسالة ابتداء من أعداد عامها الأول سنة ١٩٣٣ حتى إذا عاد من البعثة ، وعين فور عودته في أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٤ (١) مدرسا للغة الإنجليزية بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية ، بدأ يفيض على الرسالة بالجزير من إنتاجه ، إلى الحد الذي كاد النام يتوقعون فيه — أن يقرعوا له قصيدة جديدة أو مجنا أدبيا في كل عدد من هذه المجلة ، وظل كذلك حتى اختلف مع الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فاتخذ من مجلة الثقافة ، وبعض المجلات والصحف الأخرى ، منابر لقصائده وبحوثه الأدبية .

وقد ظل الشاعر في الإسكندرية ، يعمل في ميدانها العلمي والأدبي

(١) نشر أول قصيدة له بعد عودته إلى الوطن بالرسالة الصادرة في ٢٩ أكتوبر ١٩٣٤ وكان عنوانها لا تباها وفي عدد الرسالة الصادر في ١٧ ديسمبر ١٩٣٤ نشر إعلان عن كتاب الثورة العرابية لفخرى أبو السعود المدرس في العباسية بالإسكندرية ، فلما حسينا المدة التي استغرقها طبع هذا الكتاب يتبين لنا أنه عين في التاريخ المذكور تقريبا . هذا وقد لجأت إلى سجلات مديرية التعليم بالإسكندرية وكذلك سجلات المدرسة فلم تستطع أي منهما تحديد ذلك اليوم .

حق استوفى آخر نسمة من نسمات حياته ، وأسلم روحه على أرضها ،
في دار من دورها الأنيقة الصغيرة المنتشرة بحى الرمل .

ونحن لا نقول إنه نبغ في الشعر فجأة ، كما يروون عن النابغة القديم
مثلا ، إذ أننا أميل إلى الاعتقاد بأن العمل القفى المتكامل لا يصدر طفرة عن
فراغ مطلق ، بل لابد له من جنور تنميتها عوامل شتى من أهمها
الموهبة والممارسة .

وإذن فلنفخرى أبو السعود شعر نظمه بالقاهرة ولكنه كان من القلة
وعلم التضييع بحيث لم يعتد به فخرى نفسه ، فلم يعمل جادا على نشره ،
وكذلك لم يشر إليه واحد من أصدقائه القليلين الذين كتبوا عنه كلمات
متناثرة في بعض المجلات عقب وفاته .

ومن هنا ربطنا إنتاجه الأدبي بالإسكندرية وأدخلناه في زمرة السكندريين
بالوفادة .

أما الحديث عنه ، وعن شعره ، فطويل وذو شجون ، وأعتقد
أنى أودعت فى الصفحات القليلة التالية ، ما يمكن أن يكون بداية
خيط ، لمن يريد أن يفسج قصة هذا الشاعر الذى لم ينصف نفسه ولم ينصفه
زمانه ، وإنما عاش منقرا بلا صدى ، وداعية ليس له من مجيب .

الفصل الأول مع الشاعر في مأساته

حدث هذا الذى أرويه فى منتصف أكتوبر من سنة ١٩٤٠ ، وكنا على موعد مع حفل أقامته إحدى الجمعيات الأدبية بالإسكندرية ، تخليداً للذكرى وفاة المسرحى القصاص الشاعر المرحوم محمد تيمور (١) ففى مغرب ذلك اليوم ، توافدنا على نادى موظفى الحكومة بمحطة الرمل ، حيث أقيم الاحتفال ببقائه الكبرى ، التى غصت بجمهور كبير يمثل مختلف الاتجاهات الفكرية والطبقات الاجتماعية فى ذلك العهد . وليلتها تتابع الخطباء والشعراء على المسرح ، يشيدون بذكرى ذلك العبقري الشاب الذى سبق جيله ثم لم يمهل الموت فأصبح مجرد ذكرى .

وجاء دور الشاعر الأستاذ فخرى أبو السعود مدرس اللغة الإنجليزية بمدرسة الرمل الثانوية ، ليلقى قصيدته التى أعدها لهذه المناسبة . وكان مطلعها : إن لم تخنى الذاكرة .

حيا الخلود محمداً تيمورا قد كان روضاً للفنون نصيراً

وهو - فيما أرى - مطلع عادى ، لا يمكن أن يثير انتباه أحد من السامعين ولم يستطع الشاعر كذلك أن يشد اهتمام المستمعين إليه ، بفخامة الإلقاء أو بالنبرات الصوتية المعبرة ، تلك التى يمكن أن يلمس الناس فيها أحاسيس الشاعر نحو الفقيده الكريم ، فقد كان صوته ساعته ، آلياً ، لا تخفى فيه نبضة حياة .

(١) محمد تيمور ١٨٩٢ - ١٩٢١ ولد بالقاهرة وسافر وهو فى العشرين الى فرنسا لدراسة القانون وعاد فى بداية الحرب العالمية الأولى وانصرف الى المسرح متقاراً بالمنصب الواقعى فالتف عدد مسرحيات التى منها أوبريت المشرة الطيبة وله مجموعة شعرية نشرت بالمجلات ولم تخرج فى ديوان بعد كما نشرت له مجموعة قصصية بعنوان « مآثره العيون » وهو شقيق الكاتب القصصى المعروف « محمود تيمور » .

كان الشاعر : ٠ يلقى قصيدته في تلك الليلة ، وكأنما يريد أن يسبق ألفاظها ، إنه لا يكاد يسترد أنفاسه ، بل إن الكلمات توشك أن تتساقط من فمه قبل أن يتم تكوينها . .
وهكذا لم ينقض أكثر من دقيقة واحدة ، حتى كان الشاعر في واد ، والمستمعون إليه في واد آخر .

- ٢ -

لم ألتق بالأستاذ فخرى أبو السعود قبل ذلك ، وكذلك لم أستمع إليه وهو يلقى شعرا غير هذه المرة ، برغم أنه وفد إلى الاسكندرية قبل هذه الليلة بأكثر من ستة أعوام ، على أنى كنت قد قرأت له مجموعة كبيرة من شعره الذى كان ينشره في مجلة الرسالة ؛ وقد كان في أغلبه - مجيدا في معانيه وصوره - قياضا بالإحساس الصادق وإن كان ينقصه شيء من الإشراق ورخامة الحرس وطلاوة التركيب فهو يمتنى بحسب رأيي إلى مدرسة العقلانيين في الشعر وقد يؤيد هذا ، رواية زملائه ، من أنه كان يفضل العقاد على شوق في الشعر (١) لكن أكثر الأصدقاء من الشعراء كانوا يذكرون اسمه دائما مقرونا بالإجلال والإكبار فهو عندهم شاعر ممتاز خوذياجة عربية سليمة . تكاد تصل بأسلوبه إلى طرائف الشعر في عهده المنحى أيام العباسيين .

كذلك قالوا إنه مجدد في أفكاره وأخيلته ، خلاق مبتكر فيها ، وأن بعض الألوان التجديدية التى يضيفها على شعره لاتعرفها بيتئنا العامة ، وأنه متأثر فيها إلى حد ما بالفترة التى أقامها في إنجلترا ، وقالوا أيضا إن هذه الألوان ، تشبه إلى حد ما كذلك ، مالمشاعرين عبد الرحمن شكرى (٢) وأحمد زكى أبوشادى من منهج في التجديد .

(١) انظر أحمد فتحى مرسى في مقاله بالرسالة ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ .

(٢) كان فخرى أبو السعود مدعوا بالعباسية الثانوية بالاسكندرية في الوقت الذى كان عبد الرحمن شكرى ناظرا لها ويمكن أن يكون قد تأثر به ، وهناك وجه للمقارنة بين قصائده « فخرى أبو السعود » الموت والجمجمة وغيرها من القصائد المثبتة في المختارات وبين قصائد شكرى بطولته ص ٥٤٢ وعند رؤية جسمته ص ٦٥٦ وغيرها من الديوان الضام

وكلناك قاوا إنه مكرر في شعره إكتاراً لا يحاربه فيه إلا القليل وإنه
مجيد رغم هذه الكثرة في أغلب ما ينشره على الناس . . وإن صفحات
مجلة الرسالة من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٣٧ ومجلة الثقافة بعد ذلك ،
لتحتفل بهذه الكثرة من القصائد الفريدة الحيدة .

وقليل من هؤلاء الشعراء من كان ينتقص من فنه ، فيزعم أنه «أى فخرى»
يعمد إلى القصائد الإنجليزية ، غير ذات الشهرة ، فيترجمها نظماً في بيان
عربي لاريب فيه ، فلا يشك الناس في أنه خالقها ، وأنه كان لا ينسبها
إلى صاحبها إلا إذا كانت من المشهورات مستدلين على ذلك ببعض
القصائد التي لا تتفق أجزاء من تركيباتها الفكرية أو صورها الحسية
مع بيئتنا الفكرية أو الطبيعية (١) ، ويستندون في بث هذا الاتهام
أيضاً إلى ما هو معروف عن دراسة الشاعر العميقة للأدب الإنجليزي
شعره ونثره ، وربما ساعده على ذلك معرفته بأن الغالبية من القراء
يجهلون دقائق هذا الأدب .

وهو اتهام واستناد يقوم كل منهما على السفسة أكثر مما يقوم على
المنطق ، وقد نسى هؤلاء أن الرجل عاش خارج بلاده فترة التلق ، وقد
أثرت بطبيعتها - ولا شك - في تكوينه الفنى ، ومن هنا كان لابد من وضوح
أثرها في بعض الذى قام بنظمه ، من أشعار ، متأثراً بالدراسة
وبالطبيعة في آن ، وأنه ليس ثمة ما يدعو إلى تشويه سمعته الأدبية
وقد أثبت - بالدليل القاطع - جدارته في قصائده العربية الخالصة
السمات والظلال .

- ٣ -

وأجمع الأصدقاء من الأدباء ، على أنه أديب مثقف واسع الاطلاع ،
ودليلهم على هذا سلسلة من المقالات القيمة نشرها في مجلة الرسالة ،

(١) انظر على سبيل المثال بعض صورة الطبيعية في قصيدة الشعر وقد نظمها
بالاسكتندية ضمن المختارات وقصيدة الغروب على الخليج بالثقافة ٣٦ سبتمبر ١٩٣٩
وقصيدة الجبال بالثقافة ٢١ نوفمبر ١٩٣٩ .

فاحتلت مكانها على صفحات عديدة ، من أغلب أعداد النصف الثاني من سنة ١٩٣٦ والنصف الأول من سنة ١٩٣٧ تقريباً ، وتقوم هذه المقالات على المقارنات الجادة بين الأدبين الإنجليزي والعربي ، تقصى « فخرى أبو السعود » فيها كل وجوه المقارنة تقريباً من حيث الشعر والأدب وفنونهما والبيئة وتركيبها والسلوك الدينى والاجتماعى إلى غير ذلك من نواحي المقارنة ، وأترك كل ذلك ، فى الإنتاج الفنى والأدبى عند الفتانين والأدباء فى كلا الشعين .

هذا إلى مقالات عديدة فى مجلة الثقافة ، تناول فيها بعض شخصيات الأدب الانجليزى بالدراسة والتحليل ، وكذلك مقالات فى مجلتي الهلال والمقتطف ، تدور حول عديد من المشكلات الأدبية والاجتماعية وتتناول النواحي التاريخية فى بعض الأحيان .

ومن أدلتهم كذلك أنه ألف كتاباً جيداً عن الثورة العراقية ، التى كان يؤمن بأبطالها إيماناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد نزع عنها - فى هذا الكتاب - سدولا من الظلمات التى حاول المستعمرون وأذنابهم إحاطتها بها ، حتى تحجب حسناتها عن أعين المنصفين والباحثين عن الحقيقة .

كما أنه فاز بجائزتين رئيسيتين من وزارة المعارف لقاء تأليفه لكتابين أحدهما عن الخلافة والسياسة ، والثانى دراسة عن محمود سامى البارودى الذى قيل إن الشاعر يحفظ ديوانه ومختاراته (١) .

ومن أدلتهم كذلك ، على تمكنه من امتلاك ناصيتى لغتى الإنجليزية والعرب ، تعريبه الدقيق لرواية (تس - سيلية دريرفيل) لتوماس هاردى ، وقد نشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فى أول حلقة من سلسلتها « روائع الفكر الغربى » ومن المعروف ، أن أعضاء هذه

(١) مختارات البارودى كتاب فى أربعة مجلدات جمع فيه البارودى مائة من أجود الشعر فى العصر العباسى .

اللجنة ، كانوا من أئمة رجال الأدب في مصر ، وأنها كانت لا تعنى إلا بالحداد من المؤلفات والمترجمات .

- ٤ -

وإذن فقد كان الرجل في ذهني ، قبل أن أحضر هذا الحفل ، عملاقاً من عمالقة الشعر والأدب ، على الرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين من عمره إلا بأشهر معدودات ، وعلى أساس من هذه الصورة التي كونتها في ذاكرتي ، أعددت نفسي وهيات وجداني ، للاستماع إليه ، ولم أكن أتوقع أبداً ، أن أشهد في ليلتي هذه ما شهدت ، لقد بدأ الرجل على خشبة المسرح مكلوم النفس ، مهزوم الروح لا يحمل صوته تعبيراً ما ، كانت عيناه زائفتين ، لاستقران على هدف بعينه ، كذلك كان الذهول يسيطر على أعصابه ، فتبدو إشاراته أمامنا بلهاء ساذجة .

ترى أي مشاعر تلك التي ثارت في أعماقه ، ثم استبدت به استبداداً ملك عليه تصرفاته ، وما لبثت حتى امتصت حرية سكناته وحركاته ..

وقبل أن أجد الإجابة على هذا السؤال ، كان الشاعر قد انتهى من إلقاء قصيدته ، ولم يشعر الجمهور بإنتهائه منها إلا بعد بضع خطوات ، خطاها الشاعر في طريقه إلى التزول من على خشبة المسرح وكان الشاعر يسرع في مشيته ، كأنما ألقى بعبء كان يشغل كتفيه ، ولكن جبهته اصطلمت بالباب الجانبي للمسرح .

واحتبست الضحكات في بعض أفواه الجالسين ، فالحفل حفل ذكرى لفقيد كريم ؛ لا يجوز أن يسوده غير الرصانة والجلال ، وإن كان قد مضى على وفاة هذا الفقيه - يومئذ - ما يقرب من عشرين عاماً .

- ٥ -

ومرت بعد ذلك أيام قليلة لا تزيد على العشرة ، ثم فاجأتنا الصحف والمجلات وهي تحمل نبأ انتحار الشاعر .

أجل فقد انتحروا فخرى أبو السعود ، بأن أطلق رصاصة من
مسدسه على رأسه وهو مستلق في استرخاء على كرسي طويل ،
بمديقة داره الصغيرة يرمل الاسكنلرية ولم يجد الذين استقدمهم
صوت الرصاصة إلى حيث جثته غير ورقة صغيرة ملقاة أمامه ،
ومكتوب عليها بيت زهير بن أبي سلمى بعد تحويره إلى :

سمنت تكاليف الحياة ومن يعيش (ثلاثين) حولا لأبالك يسأم^(١)

إذن فقد بلغ الكتاب أجله ، ولم يبق في قوس الصبر مترع
كما يقولون ، وإذن فإن الصورة الأخيرة التي رأيتها للرجل ، والتي
وعنها ذاكرتي إلى الآن ، كانت صورة الرجل الذي كان قد مات
قبل أن يموت . .

لقد كان الرجل ليلتها على المسرح دمية تحركها أيد خفية . .
كان جسدا آدميا له صوت وصدى ، مجرد صوت وصدى ، أما روحه
وعقله ومشاعره ، أما هذه جميعا ، فقد كانت هناك بعيدا .. بعيدا جدا ..
في عالم جلد مجهول . .

- ٦ -

وتناثرت الأقوال تحاول أن تكتشف ما يحيط بمصرع الشاعر من
أسرار ، وأن تتعز بعض أستاذ الغموض المسدلة على جوانبه ، وكان منها :
أن طفله الوحيد الذي لم يتجاوز السادسة بعد ، والذي صحب

(١) نشرت مجلة الرسالة بعدها رقم ٢٨٢ الصادر في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ صفحة ١٩٣٩ تفاصيل هذا الحادث بما لا يخرج في مضمونه عن مازويناه وجاءت بعض هذه التفاصيل في مقال للدكتور زكي نجيب محمود نشره بمجلة الثقافة صفحة ١٠ من العدد ٩٦ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ وكذلك أورد بعضها الأستاذ محمد عبد الفني حسن في كتابه أعلام من الشرق والغرب ص ١٣٤ في حديثه عن فخرى أبو السعود وكان هذا الحديث مقالاً نشره الأستاذ في مجلة الثقافة العدد ٩٨ الصادر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ على أنه ذكر في مقاله أنه توفي في نوفمبر والواقع أنه توفي في صبيحة ٢١ من أكتوبر (راجع نبي الأسرة في الأبرام الصادر ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ وتثبت هنا أن أسرته ذكرت في النسي أنه أصيب برصاصة خاطئة من مسدسه وهو يريد اصلاحه محاولة منها الى ابعاد تهمة الانتحار عنه لكن الوقائع الملموسة تثبت الانتحاره كما نرى .

أمه الإنجليزية في رحلة إلى إنجلترا ، حالت بينه وبين أبيه الحرب العالمية الثانية ، تلك التي تفجرت حممها في أواخر عام ١٩٣٩ .. ثم كان ما هو أسمى من ذلك وأنكى ، إذ جمعت إنجلترا فريفا من أطفالها وبعثت بهم على سفاتها إلى « كندا » لتبتعد بهم عن شرور الحرب وويلاتها في الجزيرة المستعرة ولكن الغواصات الألمانية ، راحت تطارد هذه السفن ، حتى أغرقت بعضها ، وابتلع المحيط إحداها ، بما تحمل من فلذات أكباد ، كان من بينها طفل الشاعر .

وكذلك انقطعت أخبار الزوجة .. فلم يعد زوجها يسمع عنها شيئاً ، برغم رسائله المتكررة إليها وبرغم استعانه بكل الوسائل الممكنة (١) .

وهكذا أصبح « فخرى أبو السعود » وحيداً في داره ، مشرد اللب ، منهوب الوجدان تلاحقه الأشباح ، وفضطرب به الأوهام ومن ثم استقر رأيه على أن يختم رحلة الحياة الدنيا وكان أن أطلق في صبيحة يوم ٢١ من أكتوبر ١٩٤٠ هذه الرصاصة على رأسه .. فمات .

- ٧ -

كانت هذه الأقاويل ، مما جرى على السنة الثامن أيامه ، وما تناقلته الصحف والمجلات وهي تروى أنباء ذلك الحادث الأليم . وهو حادث فاجع كما ترى يمس القلوب فيحرق شفافها ، ويستمع إليه العقل فيشتق من قسوته ، ويحاول أن ينسكرك منه بعض التفاصيل .

فهل كانت هاتان الفاجعتان سر مأساته ؟ أم كانتا القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون ؟

(١) نقلت هذه الأقاويل كل المراجع التي سبق الإشارة إليها في التعليق على الهامش

• السابق

إن أمامنا شعر الرجل ، ويمكننا ، أن نجد فيه ، بلا حياء كبير ، صورا من أحاسيسه ، وما كان يشغل فكره ، من مشكلات . أعجزه أن يجد لها حلا . . . فإن الرجل - فيما نرى - كان واضحا ، كأنصح ما يكون الموضوع ، وكان خلقه بأبي الرياء الاجتماعي ؛ ولا يميل إلى التناق ، في زمن كان للرياء والتناق فيه سوق كبير ، وتجارة رابحة ، استغلها الكثيرون ، والذي نصل إليه من قراءتنا لشعره ، ونستخلصه من أقوال أصدقائه القليلين فيه ، أنه كان يأخذ نفسه بالجد الصارم ؛ ويتعد بها عن سفاست الأمور وينقدها أمر النقد وأعنفه وهو يقول في ذلك : -

اني وقد صنت نفسي أن يؤدبها سوى يلتى إليها الوعد والنلرا
أسمى عليها رقبيا ساهرا يقظا عمرى وأضحى حسييا مغلظا عسرا (١)
كما دار حول هذا المعنى في عديد من قصائده وعلى سبيل
المثال نستشهد بنموذج آخر من قصيدته « رقيب » (٢)
يقول فيه : -

أنا لى رقيب يا قظ لا يغفل يحصى وينقد ما أقول وأفعل
هو بالنكبر على عمرى مولع وبطول لإلام الفؤاد موكل
يحصى الذنوب على غير مبرئ ويتابع الأخطاء لا يتمهل
إن أكب في غرض صليت بعذله دهرا ؛ ولا علر لديه يقبل
نفسى على نفسى رقيب يا قظ يحصى على نفسى لا يغفل

وفي القصة التالية التى يرى فيها الدكتور « زكى نجيب محمود »
دليلا واضحا على شخصية « فخرى أبو السعود » وهو فى مطالع
شبابه ، ويرى أنه فى هذه الصورة كان متماسك التكوين الفكرى ؛

(١) من قصيدة نيج واختاق المدد ١٥٧ من الرسالة الصادرة فى ٦ يوليو ١٩٦٦

ص ١١٠٨ .

(٢) الفتاة ١٨ أغسطس ٣٩ ص ٤٥ .

لا يتراجع عما اقتنع به من أنه الأصوب ، حتى ولو اضطره الأمر أن يقف وحده ؛ وأن يتحدى كل المجموعة التي تحيط به ؛ وهي مخالفة لإياه في وجهة نظره ؛ ويقول الدكتور « زكي نجيب محمود » في مقاله هذا وقد نشره بالثقافة عقب وفاة الشاعر مباشرة :

« منذ أربعة عشر عاما كنا نطلب العلم في مدرسة المعلمين العليا وكنت أسبقه في الدراسة بعام ؛ وقرر الأساتذة في غضون السنة ؛ أن يختبروا الطلاب فيما علموهم ؛ وأبى الطلاب إلا أن يترك حبلمهم على الغارب ؛ حتى نهاية العام ؛ وأجمع على ذلك ما يقرب من نصف ألف من الطلاب ؛ إلا واحدا استوحى صوت العقل ؛ وربأ بنفسه أن ينساق مع الجماعة انسياق الشاة في القطيع ؛ وجلس وحده في بهو الامتحان يجيب ؛ ووقف مئات من الطلاب في الفناء ؛ كأنهم الذئب ؛ يرقبون من الأبواب والنوافذ ؛ هذ المارق العاصي ؛ وإن هي إلا ساعة وبعض ساعة ؛ حتى أقبل ذلك الواحد ؛ إلى حيث القطيع النى التف به ؛ يرحمه بألفاظ غلاظ ويشوبه بالسنة حداد ؛ وهو يلور ببصره فيهم لا ينطق ولا يجيب ؛ وأشهد أنى هتفت في نفسى حين رأيت هذه الإرادة العاقلة ؛ ثابتة كأنها الطود الراسخ والله إنه لرجل والرجال فينا قليل . . ولم يكن عجبا أن أقرأ بعد ذلك بأعوام لهذه النفس الحادة الحازمة صرخة توجه إلى بنى مصر فى قصيدته : (إلام تغيب الشمس عنا وتطلع) (١) . . ذلكم هو المرحوم « فخرى أبو السعود » كما أبصرته أول مرة ، ولم يكن حبل الصداقة قد ألف بين قلبينا (٢) .

ويقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه « أعلام من الشرق والغرب » إنه كان زميلا للأستاذ « فخرى أبو السعود » فى المجلتر ا إذ كانا معا عضوين فى بعثة واحدة لوزارة المعارف وإنه رأى

(١) القصيدة ضمن المختارات .

(٢) العدد ٩٦ من الثقافة الصادرة فى ٢٩ أكتوبر ١٩٤٠

أن أخلاقه فخري ، كانت من ذلك النوع الصلب الذى لا ينكسر على زمن ، وإنه رأى فيه عزوفا عن الفضول من القول (١)

- ٨ -

وكما نرى فى هذه الروايات أن الرجل كان جادا فى حياته ، لا يعرف الالتواء ، قليل الفضول ، لا يعنى إلا بالنافع من الأمور ، ورجل هذه صفاته ، قد يبعد بنا عن مظنة وجود جلور مأساوية فى حياته ، يمكن أن تتكاثف ، وأن تغلب عليه ، ومن ثم تدفعه إلى الانتحار ، وقد تبعد بنا بعض الصور التالية كذلك عن هذه المظنة ، ولكنى أعتقد أننا بعد أن نستعرض معا هذه الصور سننتهى إلى هذه الجلور ، أو على الأقل سنقترب منها .

يقول الدكتور « زكى نجيب محفوظ » وهو يكشف لنا عن جانب من حياة « فخرى أبو السعود » اليومية ... إنه كان يصحو فى الصباح الباكر ، فيعدو ساعة أو ساعتين فى شارع الكورنيش ، ويعود إلى داره فيتناول طعام إفطاره ، ثم يقصد إلى المدرسة ، يباشر واجبه فى إخلاص محمود فإذا خلت له ساعة من ساعات الدرس ، أسرع إلى ملعب tennis ، يملأ فراغه لعبا ، ثم لا يكاد يفرغ من عمله ، حتى تراه يعلو علوا إلى البحر يسبح بين أمواجه ، فإن أقبل المساء ، آوى إلى داره ، وأخذ يطلع حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكانت زوجته الإنجليزية ، تشاركه اللعب والسباحة والقراءة ، فقد كانا زوجين ائتلفا فى نغم جميل ، يعجبها ما يعجبه ، وتميل إلى ما يميل إليه ، وبلغا من هذا الاتساق العجيب حدا بعيدا ، حتى حرما على نفسيهما معا منذ أعوام ، أكل اللحم بكافة صنفه والاكتفاء بأكل الخضار (٢) .

- ٩ -

والصورة التى عرضها علينا الدكتور « زكى نجيب محمود » متوالية

(١) ص ١٣٥ والكتاب من نشر دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠ .

(٢) مقال الدكتور زكى نجيب محمود السائل الذكر .

الحركات حقاً ؛ ليس فيها فراغ فعلاً ؛ ولكننا نرى أنها كلها بجانب واحد ؛ إذا اعتبرنا زوجه مكملة له ؛ أى أنه ليس للآخرين فيها من أبناء هذا المجتمع الطويل العريض نصيب ، فلا لقاءات تشغل من اهتمامه شيئاً ، ولا صداقات تمتص ما قد يشعر به من مضض في هذه الحياة ، بل انزواء وراء ظلال متحركة وقد يدل هذا على انطوائية أصيلة عند فخرى ، انطوائية صادرة عن قلة ثقته بنفسه ، أو قلة ثقته بالآخرين ، ومن هنا بعلت مشاعره عن مشاعر الجماهير العمامة ، فلم يشاركهم مرحهم ، ولم يبادلهم وجهات نظرهم المختلفة إلا في القليل النادر ، إلا أنها تضطره ظروف حياته الوظيفية أو المعيشية إليه .

يقول الأستاذ « أحمد فتحى مرسى » في مقال له نشره بمجلة الرسالة :

إن « فخرى » رحمه الله كان يؤثر السبر على الجلوس ، وكان شديد النفور من المجتمعات ، ولا أذكر أننى رأيته فى مقهى أو امتدى ، ولعل ذلك هو السبب فى سعة اطلاعه ، فقد كان يقسم وقته بين التريض والقراءة والكتابة ، والظاهر أن ذلك يرجع إلى طبيعته الهادئة ، فقد كان يكره الضجة ويتجنب الناس (١) بل يؤكد الأستاذ « أحمد فتحى مرسى » جانب الانطوائية هذا فيؤكد أنه امتد أيضاً بالورثة إلى طفله ، ثم يروى لنا القصة التالية فيقول :

« وحتى طفله ؛ يدلولى أنه ورث عنه هذه الميزة . . فكان ينفر من الغريب ويتبعد عن الناس ؛ أذكر أنه تركه معى مرة وذهب لبعض شأنه فجعل الطفل يصرخ ويبكى ، ويتملص منى ليجرى ، وعشنا حاولت تهدئته ولكنه لم يهدأ حتى عاد والده فسار إلى جانبه مبتعداً عنى . » ويعود الأستاذ أحمد فتحى فينتطرق إلى قلة الثقة التى كانت عند فخرى فيقول فى هذا المقال أيضاً : إن فخرى كان كثير الشك فى الفوز بجائزة وزارة المعارف ولكنه طمأنه حتى اشترك ومن ثم فاز بجائزتين .

(١) مقال الأستاذ أحمد فتحى مرسى بالرسالة العدد ٢٨٢ الصادر فى ٤ نوفمبر

وإلى ظاهرة الانطوائية هذه يشير الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » ،
 فى كتابه السابق الإشارة إليه إلى أنه فى أثناء زمالته لفخرى بانجلترا « رأى فيه
 عزوفا عن الناس » ويقول فى موضع آخر من مقاله هذا « إن فخرى
 أبو السعود كان على تزمته ووجوه أحيانا يتהלل للنكتة إذا سمعها فإذا
 أصابت منه موضعاً ؛ أصبح لا يكاد يمسك نفسه من الضحك (١) ، ولعل
 هذه العروسة التى كانت كامنة فيه كانت تنفس عن نفسها أحيانا ببعض
 الشعر الفكاهى الذى كان ينظمه » ، ونضيف إلى هذا أن إغراقه فى الضحك ،
 إذا صادفت النكتة مكانها عنده ، إنما كان تنفيساً لما كان يشعر به من
 كبت شديد ، وتزيد على ذلك أن « فخرى أبو السعود » نفسه يضع أيدينا
 على انطوائيته هذه بلا قصد عندما يقول فى مقدمة إحدى مقالاته النقدية
 « . . إن الطبيعة هى ألف الشاعر الحميم . . إلى ظلالها يسكن . . وعندها
 ينفض أوشاب العيش . . ويستريح فكره الذى أضناه التعب ، ونفسه
 التى أضجرتها معاشره الناس . . » (٢) .

- ١٠ -

نحن إذ أن أمام رجل تتنازع عوامل نفسية متضاربة ، فهو يميل فى
 أعماقه إلى الحياة المرحية التى يحياها أصحاب النفوس السوية ، ولكنه
 انساق وقد يكون هذا بتأثير عائلى — إلى حياة جادة منفصلة عن مشاركة
 الآخرين ، وبهكنا على ضوء من هذه النظرة أن نفس موقفه يوم أن أدى
 الامتحان دون رفقة جميعاً ، ومن هنا نرى أنه يستر نوازع — التى تود
 أن تنطلق إلى رحاب أوسع — برداء الجلد الذى يرتديه والذى يعانى
 من أجله ما يعانى ، من صراع دائم بينه وبين نفسه ، صراع لا يعرف
 الهوادة ولا الأين ، بل حتى الحل الوسط فيما أظن . .

لقد اختلف التياران ، نفسه ورغباتها المكبوتة من جهة ، وما أخذ به

(١) مقال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بالثقافة العدد ٩٨ الصادر فى ١٢ نوفمبر
 ١٩٤٠ وفى كتابه أعلام من الشرق والغرب .
 (٢) ص ١٦٩٠ من عدد الرسالة رقم ١٧٢ الصادر فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ .

نفسه من جد وبعد عن مشاركة الناس في دنياهم من جهة أخرى ، وعلى الرغم من أنهما يصدران من نبع واحد يتمثل في حياته ، إلا أنهما ظلا في نزاع مستمر ، ومعنى ذلك أن الموت ، بالنسبة إليه ، هو الغاية المثلث ، التي يمكن أن تقضى على طرفي النزاع قضاء يستريحان بعده إلى الأبد ، وليس هذا برأى لي استخلصته ، وإنما هو رأى « فخرى أبو السعود » نفسه أفضى به في ختامه لقصيدته « السجينة » التي منها هذه الأبيات في مخاطبة نفسه وفيها كذلك يبدو جانب من هذا الصراع :

تجنبن تهما ووجدا ولهفة	وأظهر أنى الزاهد المتعفف
كأنك في الجنين منى سجينة	تعلب في ظلماتها وتحبف
وتكبح عما تشبهه وتبغى	وتقمع أشواق لما وتشوف
ظلمتك لم أظلم سواك من الورى	وما من خلل في قسوة وتمجرف
نعيش كأننا اثنان لم يتعارفا	وما لهما في الدهر شمل يؤلف
ظلمتك خدنا صاحباً وظلمتى	فعل فراقاً آتياً هو أنصف (١)

بل يكاد ينتزع هذه الأغلفة ، التي توشك أن تمحق حين يصرح ، في تهيدة حزينة ، أحسها قلمس الجراح من أفئدتنا جميعاً فتثيرها ، برغم العقلانية التي تسرى فيها ، ذلك حيث يقول :

لكل شجون في الحياة كثيرة	ولكن يوارى عن سواه شجونه
وكل فتى يبكى لبلواه غابطا	فتى مثله باكى القواد حزينه
ولم يدرك إنسان بآلام غيره	فهم مثلما يخفى الأسى سيكتومونه
وكل يتأجج نفسه في شقائه	بأن جميع الناس تسعد حوته (٢)

- ١١ -

وإذن لم تكن الحياة المنظمة ، والعامرة بالحيوية والمحبة ، تلك التي

(١) راجع القصيدة ضمن المختارات .

(٢) أبيات استشهد بها الدكتور زكي نجيب محمود في مقاله انتشار اليأس .

أوضحناها ، في حديثنا عن حياته اليومية والتي أوشك الدكتور « زكى نجيب محمود » أن يحمّد الشاعر عليها ، لم تكن بمرضية للشاعر ولا بمحققة لأمانيه ، وإنما كانت ستارا جميلا براقا ، تخفى آلامه وراء نضرتها وتثور رغباته من خلال ورودها ، في شكل أبيات بجماعة ، يثور فيها على رتابتها وآليتها ثم هو لا يكفى بأن يصرخ فيقول :

ياكون كنى لي جميلا على السلوام جليدا
أشيم في كل يوم مرمى به مقصودا
لا تبد يوما فراغا لا تبد يوما زهيدا
ابعث أمى أو مرورا لكن حذار الجمودا (١)

فهو قد بلغ به الملل من رتابة الحياة غايته ، حتى لقد رأيناه يتمنى تغيير ما يراه من مشاهد يومية تعود أن يراها ، حتى ولو إلى الأسمى الذى لا تحسب أن أحدا يتمناه ، بل إنه ليتمنى الفراق من يحب ، على مرارة هذا الفراق ، حتى يحس بمنمة اللقاء وحتى يمكن لفرحة اللقاء أن تتجدد ، فيتجدد بذلك شعوره بالبهجة والسعادة ، إذ لا يمكن أن يحسهما تماما ، دون أن يسبق هذا اللقاء فراق مرير ، يريد كل هذا بل إنه ليود — لو استطاع — عن طريق توالى البعاد واللقاء أن يعشق ألف مرة ، حتى يستشعر لذة العشق ألف مرة ، وأعتقد أنه لولا الملل الذى أحسه وأصبح يسيطر عليه وعلى مشاعره ما انصرف خياله إلى مثل هذه الأمنيات ، وإلى هذه التبريرات التى نقرأها في هذه الأبيات والتي أحسب أن الخطاب فيها موجه صراحة إلى زوجته بحسب ما فهمته من قراءتى للبيت الثانى منها :

إننى أشتى البعاد زمانا ، مثلما أشتى التواصل حينما
لا أحب اللقاء عهدا مقبلا مستمرا به نقضى السنينما
إن هذا البعاد يبعث فى الأشواق حرى ويستجيش الحنينما

(١) من قصيدته ياكون المقصودة بالرسالة عدد ٤ أكتوبر ١٩٢٥ .

أنفق العمر مسرفا فإذا أقبل يوم اللقاء كنت ضنينا
كل حين لنا لقاء سعيد ووداع أطوى عليه شجوننا
وتريدني في البعاد جمالا ورواء وبهجة وفنونا
كل يوم أجلد الحب بالبعد وأحبي منه فنونا فنسونا
فكأنني عشت ألفا وما زلت الفتى الوافى الذى تعرفنا (١)

- ١٢ -

ولقد حاول « فخرى أبو السعود » ذات مرة ، أن يفلسف حياته
فلسفة وردية ، وأن يصفى عليها لونا من التعقل ، والرضى بالواقع ، حتى
يستسيغها ويرضى عنها رضاء لا إكراه فيه ، ومن ثم نظم إحدى قصائده
مستهدفا لوم الشاكين والباكين والضائعين من الشعراء الذين ملئوا الدنيا
من حوله بكاء وأنينا فقد كان البكاء والأين سمة من سمات عصره
إذ كانت « الرومانسية » الحزينة ترفرف بأجنحتها الحاملة ، على الشباب
من شعراء هذه الفترة وقد جاء في هذه القصيدة (٢) قوله :

أكل أخى شر خلدن بلابل (٣) يفوز سواه بالأماني والنعمي
فهذا شكا في جنبه ألف طعنة وذاك طوى في كل جارحة سهما
وذا صلبره نار ، وعينه ديمة وأضلعه حرى ، وأحشاؤه كلمي
وذاك : بطيء ليس له متناول يساهر فيه وحله الألف والنجما
وذلك أضواء وأوهى اضطباره غرام مشى في جسمه : ينحل الجسماء
وذلك ييكى كالوليد ساخطا بلا سبب يدرى ولا غرض يسمى
ثم يحاول أن يسترعى انتباه هؤلاء المتشائمين إلى ما في الطبيعة من

(١) قصيدة « البعاد » ونشرت بالرسالة الصادرة في ٤ أكتوبر ١٩٢٧ ص ١٦٢٠ .

(٢) قصيدة « تمادوا بشكواهم » نشرت بمجلة الرسالة العدد ٩٩ في ٢٢ أبريل

١٩٢٥ ص ٦٦٨ .

(٣) يشبه هذا قول المتنبي في مطلع قصيدة « إذا كان مدح قالسيب المقدم - أكل

فصبح قال شعرا مقيم » .

رؤى فاتنة ، وما فى مجالها من محاسن باهرة ، يمكن أن تسرى عن
 المحزونين أحزانهم ، وأن تهب السلى لمن يفتقدونها : : فيقول فى
 القصيدة نفسها :

وكم فى رجب الكون من أنعم ومن محاسن تصبى العين والروح والفهما
 وكم عرضت فىنا الطبيعة حسنا بلائمن غنما لمن بادر الغنما
 ترى فى مجالها وألوان حسنها عزاء لمن يأسى وريا لمن يظما

ونحن لا نرى فى المقطوعة الأولى من هذا التودج غير مجموعة من
 الأوصاف التى يطلقها بعض المتكلمين على الشعر والشعراء ، فى الروايات
 المسرحية الخزلية ، لإثارة الضحك عند المشاهدين نظمها الشاعر بأسلوب
 مهلب نوعا ما فى هذه الأبيات ، فليس فيها - فيما نحس - دقة الشعر
 ولا عذوبة الشاعر .

وأما المقطوعة الثانية ، فهى لا تزيد على أنها سرد باهت لبعض محاسن
 الطبيعة ودعوة متهاقة لاستجلائها والاستمتاع بها ، والعيش فى ظلالها
 ولا تدانى هذه القصيدة فى جملة أيا من قصائده التى نظمها هو نفسه
 خالصة للطبيعة .

- ١٣ -

ومع ذلك فإن الشاعر كثيرا ما أعلن مسخه ، وعبر عن قلقه ، ولم يعد
 يرى فى الطبيعة إلا صورة " مجسمة بشعة للظلم الذى يتغلغل فى كل ظاهرة
 يمكن أن تلمحها العين ، فى مجالات الطبيعة مهما تعددت مناظرها ،
 ومهما بدت هذه المناظر أخاذة بجمالها ، باهرة فى إشراقها ، وهو فى
 حالات رفضه أقوى وأقلر على التعبير ، قوة وقدرة لا يمكن أن تصل إليهما
 أى حالة من حالات تيريره ، وربما كانت قصيدته « سل الجديدين » (١)
 من القصائد المملودة التى يمكن الاستشهاد بها فى هذا المجال ، وهو -
 فى هذه القصيدة - يستعرض ألوانا عديدة مما تعرضه الطبيعة علينا ،

(١) انظر القصيدة فى المخطوطات .

وبين ما وراء كل منظر جميل رائع فيها من دأس فظيعة ، وأحوال لا يمكن أن تقاس إليها متعتها ، وهى عنوان على ما يمكن أن تبثه قصيدة جيدة من أفكار سوداوية فى نفس مستمعها ، ونتخذ من وصفه للغاية فى هذه القصيدة ، نموذجاً لباقي أجزائها من جهة ، ولدى استغراقه فى تأملاته التشاؤمية ، واستخراجه للصور التى تعبر عن أحاسيسه من جهة أخرى ، ذلك حيث يقول فيها :

تروقك الغابة الفيحاء ناضرة	يرف بالحسن عاليها ودانيها
وبين أطوائها حرب محللة	تعج ما بين ماضيها وآتيها
فى عشبها أو ثراها أولفائفها	يكن رائحتها شرا لغاديا
وما اغتنى حبها إلا بها الكها	ولاسما نضرها إلا بذوايها
تغلغل الظلم فى أحناثها وعدا	على الضعيف من الأحياء عاديا
فى كل طرفة عين ثم مهلكة	أو ثم معركة يائيل صاليا
تشقى وتألم آلاف مؤلفة	فى كل آن وتردى فى مجاليا

بل إنه وبعد أن كتب القصيدة التى يعنى بها على المتشائمين والحزاني ، وفى أول يناير سنة ١٩٣٩ على وجه التحديد ، نشر مقالا بالهلال يبرر فيه الروح المتشائمة عند الشباب ، وهذه المسحة الحزينة التى تجمل لإنتاجهم الشعرى بوجه خاص ، يقول فيه . . « وقد يبدو عجيبي لأول وهلة أن أشعار الشباب تفيض ألما وسخطا وتمردا . . ولكن لاعجب إذا تذكرنا أن الشباب هو عهد المطامع التى لا يتسع لها صدر هذه الحياة ، وعهد المثل العليا التى تصطدم بمقائى الحياة المتحجرة ، وتتحطم على صخور الواقع المؤلم ، فلا غرو إذا كانت حياة الشباب أحلاما جميلة يصحوقها بين حين وآخر ، فى نفسه فى ظلمات الحياة المطبقة ، فيشتد عند استيقاظه صراخه ، ويتابع فى النظم والنثر تمرده وسخطه .

ونحن نعرف أن « فخرى أبو السعود » حين ترجم أحد الأعمال الأدبية الكبيرة لم يجد أمامه عملا يلائم مشاعره غير رواية « تس » « لتوماس »

هاردى ، الذى يقول فيه « فخرى » نفسه ، إنه يصبر عليك حقاً أن تجد
 فى آثار هاردى ، على كثرة ما نظم وما نثر موضعاً لمسرة ، أو معرضاً
 لفكاهة (١) .

- ١٤ -

لقد انهار الجدار الذى أقامه « فخرى » من إرادته ، انهار لأن مقلداته
 لم تكن أصيلة نابعة من أعماقه ، لقد كان كل ما يريده من أردية الصلابة
 والجدّة والتعقل ، كان كل ذلك وافداً عليه ، بتأثير من عوامل شتى ،
 قد يكون منها أثر بيئته وتربيته وقد يكون منها عوامل أخرى لم نهتد إليها
 بعد ، وحتى إقامته فى إنجلترا ، لم تجد فى إقامة توافق بينه وبين المجتمع
 المفتوح الذى وفد إليه ، بل لعله كان هناك أكثر نفوراً ، أجل فقد كان
 فى إنجلترا يعيش منزلاً ، إلا من تلك التى صادفته يوماً فالتحقها زوجة ،
 ذلك لأنه أحس إحساساً ساحقاً ، بأنهم ينقمون على المتفوقين منا ،
 ويفسرون للآخرين الازدراء وأنهم يعتبروننا جميعاً متأخرين جهلة (٢)
 ومن هنا كان انزاله عنهم ، واستعلاؤه عليهم ، واعتقده أن « فخرى
 أبو السعود » استقى من هسلر النبع ، قصائده الوطنية المثيرة ، التى
 تشتعل حماسة ضد الإنجليز ، والتى كان يبعث بها إلى الرسالة لعلها تثير
 روح العزة والنخوة فى أبناء وطنه ، حتى إذا عاد إلى وطنه ، اصطدم
 بالفساد الحزبي ، وتناحر القادة على مصالحهم الخاصة ، وبعد الأمة
 النسبي عن العمل على تحقيق الحرية والاستقلال ، فانطوى على نفسه
 وفقد الأمل فى مجتمعه •

وإذن فقد توافرت له فى رأيه عن قصد أو عن غير قصد كل عوامل
 النفور من المجتمع والبعد عن الناس . ومن هنا أيضاً ضل أمام
 مشكلاته ، ولم يهتد إلى حل يريحه ، ولم يجد بداً عندما تكاثفت

(١) نفس مقاله فيد الهلال المذكور .

(٢) مقال فخرى أبو السعود بعنوان « تمد ذلوبي » بالرسالة ص ١٨ : عدد ١٢ مارس

أمامه ، وتحالفت عليه ، وراحت تأخذ بتلاييه ، من أن يصرح بكل ما يملك من قوة ، ومن حيرة أيضاً .

قد شرذ اللب تفكيري وأجهلني وما اعتليت لأمر فيه مقتنع وكلما زدت علما زدت وأأسنى جهلا . ولم أدر ما آتى وما أددع (١)
ولم يستطع أن يصمد طويلا ، بل ألقى بسلاحه . . وهو لم يزل في شرح شبابه على أرض المعركة وأعلن استسلامه وإقراره بما يعيش عليه الناس ، من نقائص لا يمكن إصلاحها :

صاح ذا عالم النقائص من رام كالا به أراد المحالا
من أراد الكمال في كل قصد حقر السعى واستخس النضالا
من بنى المنتهى أقسام فلم يرح وعاف المثال والأفعالا (٢)

- ١٥ -

ولم يجد أمامه غير الموت ، يتاجيه ويدعوه ويصفه بأجمل النعوت ، ويرى فيه الطبيب الأمثل الذي يمكنه أن يداوى هذه البشرية الجالحة المليئة بأنواع الشرور والأذى من أدوائها هذه ، وأن الموت هو الصديق الصادق ، وأن الناس إنما يكرهونه بلا وعى منهم مثلما يكره الطفل الطبيب الذي يحمل إليه راحته ، وإنه - فيما يرى - الواحة التي يأوى إليها من شفه قيط الحياة ، وإنه فوق ذلك كله - بلاغ النفس الحائرة في دروب من الشك - وقد يكون في هذا ، مفتاح يبيننا على فتح باب سر من الأسرار التي عاش « فخرى » شقياً بها ثم أصبح في النهاية لا يعطيها .

تقد أصبح الموت بالنسبة إليه أمنية ، وإن اغتال المنى جميعاً ، وذلك لأنه سيريمه منها جميعاً ، ورحم الله المنتبى حين قال عن جلته :

(١) من قصيدة « كللت نفسك عسرا » الرسالة ص ٨٢٧ سنة ١٩٣٥ .

(٢) من قصيدة « الكمال » ص ١١٨٩ من الرسالة ٢٠ يوليو ١٩٣٦ .

ولم يسلبها إلا المنايا وإنما أشد من السقم الذى أذهب السقا
ولنستمع إلى « فخرى » معا وهو يتغنى بهذه الأبيات التى يتناجى
فيها الموت ويستعجل لقائه :

أيا قادمًا تخشى النفوس قنومه لأنك صديق في ثياب غريم
قدومك تحرير الأسارى ولودودت لما أنكرتك النفس يوم قدوم
كما ينكر الطفل الطبيب وعنده له براء أسقام ودمل كلوم
إذا قست الدنيا على متعب بها بسطت له لأيا جناح رحيم
ومن شفه قبط الحياة أغثته يبرد نسيم في الأصيل رخيم
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة بوادى شكوك جمة وهموم
فأنت، وإن غلت المنى، أطيب المنى وفيك نسيم المرء أى نصيم
ولو علم الجاني لما جاد عامداً على خصمه بالموت جود كريم
وأنت تريح الفكر من كل معضل يظل له في حيرة ووجوم
عزاء لبعض الناس أنك قادم وأن شقاء العيش غير مقيم (١)

بل إنه ليذكر في نشوة وطرب أنه سيجل ضيفاً على مدينة الموتى
حيث القبور التى يغمرها ضوء القمر البللورى وحيث يجد فيها من سبقه
من أحباب ، لما يزل قلبه يستعر بالشوق إليهم ، ومن هذه القصيدة
قوله : -

سأجىء هذى الدار يوماً لاحقاً من غادروا بالقلب برح سعي
وتقر في تلك الغيبة أعظمى من بعد كد دائب مكرور
يسلو بها قلبي قديم مأرب كانت ويترع عن أسى وجور
غفلان عن سال لذكرى جامد أو جائد بفؤاده المفطور
ويطل ذاك البدر فوقى زاهياً يحلو سناه غياهب الديور (٢)

(١) انظر قصيدة الموت ضمن المختارات -

(٢) انظر قصيدة سأجىء هذى الدار ضمن المختارات -

وكومضة المصباح في التزع الأخير ، قبل أن تخفقه الظلمة ، ارتفع صوت
« فخرى أبو السعود » في صيحة يعلن فيها عن رغبته في الحياة ، حياة
تستغرق أعماراً وأعماراً ، وتكفيه لينقل في الأعصر المتوالية وليشهد أحداث
القرون جميعاً ، بل يعلن حسرته أنه ليس إلا فرداً واحداً ، لا يملك غير
عمر واحد ، لا يمكنه من مشاهدة ما يريد ، ومشاركة الدنيا فيما تبديه من
أعاجيب ، ذلك حيث يقول من قصيدة نشرها قبل أن يموت بأشهر
معلودة :

ليت لي عمراً فعمراً مثلما تشرق الأنوار بعد الظلمات
إن مضى عمر تلاه غيره عانى أصحاب فوج الحادثات
ليتني أدرك أجيالا تلي حافلات بأعاجيب الحياة
لأرى الأحداث في ترددها وأرى الكون جديد الخبرات
أنا فرد واحد بين الورى ليتنى شتى شخوص وفئات (١)

ولكنه ما لبث أن فاجأنا بقصيدة أخرى ، قصيرة ، بلغ من قصرها أن
أحداً لا يستطيع أن يقيس لها زمناً ، قصيدة لم يجر بها قلمه ، ولم يفتح
عنها فمه ، وإنما انطلقت من مسدس صغير في يده فاستقرت في رأسه ،
وهو مسترخ على كرسيه الطويل ، بحديقة داره الصغيرة برمل الإسكندرية
صبيحة اليوم الواحد والعشرين من أكتوبر سنة أربعين وتسعمائة وألف
من الميلاد .

ويعد . .

فقد انتهى المطاف بنا إلى حيث انتهى الرجل ، ووقفنا معه في هذه الرحلة
عدة وقفات كان يعد عنا فيها خطوة إثر كل وقفة .

(١) قصيدة شتى شخوص المدد ٨٣ من الثقافة الصادرة من ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٠

ولعل الأولى كانت هذه الانطوائية ، تلك التي تجلت في كثير من تصرفاته ، وكانت الرقعة الثانية وليدة الأولى ، إذ لا تستبد الحيرة حتى تبلغ مداها ، ولا يتقوى الشك حتى ينال من صاحبه ما يريد ، إلا إذا مهدت الانطوائية لها السبيل إلى ذلك ، ثم رأيناه في شعره ساخطاً على الغرب ، قليل الثقة في الشرق ، وكانت قلة ثقته هذه ، أثر من آثار انطوائيته كذلك .

ثم كان الملل الذي سيطر عليه ، ولون كثيراً من أفكاره ، وبالتالي قصائده ، ومن ثم راح يتمنى الخلاص منه ، على أى صورة الصور . .

وأخيراً انتهينا إلى أن الرجل لم يبق له من عالمه غير زوجته وطفله فلما انتزعهما القدر منه أسقط في يده ، وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير .

ومن هنا رأيناه ساهماً لا يلوى على شيء ، ولا يقدر على شيء . . . فلما دعى إلى حفل ذكرى محمد تيمور ، لبي الدعوة فقد كان يؤمن بعقريته ونبوغته ، ولكن القدر لم ينصفه ولم يحمله فانتزعه في بداية الطريق . .

كما لم ينتصف هو نفسه ، ولم يعبأ القدر كذلك بأمنيته ، ولا بمثلها بل ولا بوجوده ، وكانت قصيدته ليلتها ، صدى آليا لمقدرته على النظم ، فقد كان الرجل قد فقد روحه ، ووجوده ، وكيانه ، وكان على المسرح ساعتها مجرد صدى لرجل ميت ما لبث أن استعجل إسدال الستار على جثته ، ومن ثم خر صريعاً على أرض المعركة ، هذه المعركة التي لم يكن بها محارب سواء أ بعد هذه الليلة بيضعة أيام . .

الفصل الثاني

- شائربلاصدي
- حواء والشاعر
- الشاعر الوصاف

شائربلاصدی

تعمید

٢٠ في ٢٠ من يونيو سنة ١٩٣٠ أسند الملك فؤاد الأول رئاسة الوزارة إلى «إسماعيل صدقي باشا» الذي كان معروفا بميوله الاستبدادية وخصومته الواضحة للشعب ، وكان اختياره لهذا المنصب - في ذلك الوقت ، ونظرا للظروف التي أحاطت به - يعتبر تحديا للشعب واستهانة بحقوقه ، بل وبكرامته أيضا ، ويمكن أن نلمس هنا في الخطاب الذي تقدم به إسماعيل صدقي للملك والذي يشكره فيه على الثقة الغالية التي أولاه إياها . . . ثم يقول بعد فقرات « . . . : وستنتهج الوزارة في سبيل الوصول إلى بث الطمأنينة ، الوسائل الطبيعية ، والأسباب النظامية وهي قوة الرجاء في ألا تلجأ الظروف - على كره منها - إلى الأخذ بغير تلك الوسائل والأسباب ... » (١) ومعنى ذلك أن إسماعيل صدقي حدد في هذه الكلمات للأمة طريقين لاثالث لها ، وهما طريق الخضوع والإذعان لما يريد ، أو الاستهداف للشدة والإرغام إذا لم تشأ تنفيذ هذه الإرادة ، ولكي يصنع لنفسه لائحة ديمقراطية يقف تحتها ، إمعانا في السخرية من عقول بعض الناس ، اصطنع حزبا جديدا أسماه حزب الشعب ثم ضم إليه بعض الوصوليين من أنصار السراي وكانوا يطلقون على أنفسهم حزب الاتحاد ، ومن هذين المسمخين أقام وزارة تمثل المؤتلفين وإن كان هؤلاء المؤتلفون لا يمثلون إلا أشخاصهم وليس لهم في الجماهير الشعبية أية جلور : دة ١٩٣١

ومن هنا ، وثورة على هذا الوضع البالغ الاستتار بالشعب ، صاحب الحق الشرعي في اختيار حكامه ، قامت المظاهرات في كل مكان

(١) الجزء الثاني من كتاب في أعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الرافعي ص ١١٠.

بالقطر ، ريفه وصعيده ، مدنه وقراه ، قتل فيها وجرح الكثيرون ممن واجهوا الموت ، وهم يهتفون بالعدالة والحرية ، ومن الأمثلة الدالة على عنف هذه المظاهرات وحلتها ، أن الإسكندرية وحدها فقدت في يوم واحد هو ١٥ يوليو سنة ١٩٣٠ عشرين قتيلا من أهلها على حين بلغ عدد الجرحى خمسمائة جريح (١).

ولمعانا في المهانة والإذلال بادرت الحكومة الإنجليزية فأرسلت بارجتين حربيّتين إلى الإسكندرية بدعوى حماية أرواح الأجانب في المدينة فكان لحضورهما وقع أليم (٢).

وبالغ الملك في امتهانه للشعب فألغى دستور سنة ١٩٢٣ ، وكان يمثل وقتها - على ما فيه من نقص - أمانى البلاد ، وكان الملك قد أقسم من قبل على احترامه ولكنه ما لبث أن عبث بقسمه هذا وألغى هذا الدستور ، ثم أصدر بدلا منه دستور سنة ١٩٣٠ الذى أبته الأمة كل الإباء ، إذ لم يكن لحقوقها فيه مكان ما .

واتخذت الحكومة الضمانات التى رأت أنها تتيح العمل بهذا الدستور أطول مدة ممكنة ، فكان من مواده أنه لا يجوز النظر في تعديله قبل مرور عشرة أعوام من العمل به .

هنا مع أنه كان لا يلزم الحكومة بشيء ذى قيمة ، حتى إن مشروع طرح الثقة بالحكومة - وهو حق معترف به فى المساتير - أحبط فى هذا الدستور بسياج من الإجراءات التى تجعل تنفيذه مستحيلا (٣) ، وقد أباح هذا الدستور للملك أن يهمل أى قانون بعد أن يميزه البرلمان - إذا رغب فى ذلك - كما جعل دعوة البرلمان للاجتماع غير العادى مرهونة بإرادة الملك (٤) .

(١) نفس المرجع صفحة ١٢١

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢

(٣) نفس المرجع ص ١٢٤

(٤) نفس المرجع ص ١٢٧

وعادت المظاهرات الدامية تحتاح البلاد من جديد ، واثلتفت الأحزاب على اختلاف وجهات نظرها متحدة أمام هذا الطغيان السافر ، وتعددت وبسائل التعبير عن سخط الشعب وغضبه ، وكانت محاولات اغتيال صدق باشا أورلوا من ألوانها . .

ثم أصيبت البلاد بأزمة اقتصادية حادة هبط فيها سعر قنطار القطن من أعلى رتبة إلى عشرة ريالات ، واتخذ صدقي بعض الإجراءات التي رأى أنها يمكن أن تقف بالبلاد على حافة الهاوية فحسب ، دون أن تردى فيها ، ولكن لإجراءاته لم تكن جذرية وإنما استهدفت في الأغلب حفظ أموال الرأسماليين ، ومن هنا اشتد الضيق بالفلاحين الذين فر الكثيرون منهم إلى المدن بحثا عن القوت الضروري ولبيع القوى الكامنة في سواعلم بأغنى الأثمان . .

كذلك كشفت التحقيقات التي تمت في بعض القضايا عن مخاز عديدة ، منها قتل المواطنين وتعذيبهم انتقاما منهم لانتهاكاتهم السياسية ، كما اكتشفت حوادث أخرى تحمر لها الوجوه خجلا أو تصفر منها خزيا لعبت فيها الرشوة واستغلال النفوذ أدوارا ذات أثر خطير . .

ولم يجد « إسماعيل صدقي » - وقد طفع الكيل - بدا من أن يستقيل خوفا من الانفجار الشعبي وكان ذلك في ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ وقد جاء في رد الملك فؤاد بقبول هذه الاستقالة هذه العبارات « . . ولا يسعنا حرصا على صحتكم إلا إجابتيكم إلى ملتئمكم . . راجين لدولتكم كمال العافية . . حتى تساهموا في خلة البلاد بما عرف عن دولتكم من المقدرة الفائقة وأنا شاكرون لدولتكم ما قلتم للبلاد من أعمال مجيدة . وخلفات جليلة . . » (١) وكان هذا الرد وحده إمعانا ملموسا في الأزدياء بشعور الأمة وقتئذ . . (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٨١ .

(٢) يلجأ الملوك أحيانا - إذا اشتد غضب الشعب إلى استبدال وزير بوزير آخر ففي هذا الاستبدال امتصاص مؤقت لغضب الجماهير ، وقد حدث هذا فعلا عند مقدم هذه الوزارة

ثم أَسَدَ الملك رئاسة الوزارة إلى « عبد الفتاح يحيى باشا » في ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ وقد أدرك الإنجليز ضعف هذه الوزارة وانفصالها عن الشعب وخللان الشعب لها فأخذوا يستهينون بكرامتها وتعددت مظاهر استعلاهم عليها ، فتدخلوا في حياة الملك الخاصة وفي المناصب الكبرى ، وقاموا بزيارة بعض المنشآت الحكومية والتفتيش عليها يدون علم الحكومة ، ولم ير عبد الفتاح يحيى وقد شعر بالهوان والذلة إلا أن يتقدم باستقالته فقبلها الملك في ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ وعهد إلى « محمد توفيق نسيم باشا » بالوزارة وقد حدثت في عهده بعض المظاهرات وبخاصة إثر تصريحات الوزير الإنجليزي صمويل هور المعادية لمشاعر الجماهير (١) وقد ظل « نسيم » في الوزارة حتى ٢٢ يناير ١٩٣٦ حيث جاءت وزارة على ماهر التي أجرت الانتخابات ومن ثم فاز فيها حزب الوفد بالأغلبية ووصل إلى مقاعد الحاكمين . .

- ١ -

أعتقد أن هذا العهد كان ضروريا - بالنسبة للشبان الذين لم يعاصروا هذه الفترة من تاريخ مصر على الأقل - وذلك لبيان المناخ الذي كان يعيش فيه الشاعر « فخرى أبو السعود » الذي كان يتفعل بمؤثراته ، ومن ثم ينظم أحاسيسه الناجمة عن هذا الانفعال ، شعرا لا يمكن أن تجد صدقه ، حتى وإن تعددت أمامك منافذ القول فيه .

ويمكننا أن نقول إن إقامته في إنجلترا في النصف الأول من هذه الفترة ورؤيته للشعب الإنجليزي عن كثب ، وهو يستمتع بحريته ، ويمارس حقوقه السياسية على الوجه الأكمل ، ثم مقارنته بين حياة هذا الشعب ، وبين حياة شعبه هو على ضفاف النيل ، حيث يسيطر عليه حكامه بالحديد والنار ، وبما هو أقسى من الحديد والنار ، ثم لا يقيمون لرغبته وللمشاعره وزنا ، أى وزن . كل ذلك كان له بلاشك أثره البالغ في

(١) لمحت الجماهير من هذه التصريحات معارضة إنجلترا لعودة دستور سنة ١٩٢٣ وقد كانت هذه العودة من أهدافها الكبرى هي تلك الأيام .

أحاسيس « فخرى أبو السعود » ومن هنا تفجر بيانه بهذه القصائد الملتزمة التي نظمها وهو يتلقى العلم في إنجلترا أي في البلد المختص ذاته ، فمن هناك ، بعث إلى مجلة الرسالة بقصيدته الصارخة « بنى مصر » وقد نشرتها المجلة في ١٥ يناير ١٩٣٤ وكانت البلاد قد جنحت إلى الاستكانة فترة من الزمن في أثناء وزارة « عبد الفتاح يحيى » ومن هذه القصيدة قوله :

إلام تغيب الشمس عنا وتطلع ونلعب في ظل الحياة ونرتع
نهم بهزل لأنهم . : بغيره ونهرب من جسد الحياة ونفرع
ونشخذ من آباءنا وجسودنا فخاراً على أعقابهم ليس يطلع
تقبه بتاريخ لهم ومآثر قيام على الأيام لا تتزعزع
وما هي ملء نحي لإصحائف يوال ، وأطلال خوال ، وأربع
وفيم تبايننا بعز ورفعة وحاضرنا قفر من العز بلقع
تبرأ ماضى المجد منه ، ولو درى لطاش له خوفو ، وأذهل خفرع
وريع الفراعين العظام ، وأجفلوا وهالم هذا التراث المضيع
رأوا أمة تمشى وراء زمانها وقد عرفوا في الطليعة تطلع (١)

- ٢ -

ولقد كانت الامتيازات الأجنبية أيامئذ ، داء عضالاً استشرى فساده في الوادى من أقصاه إلى أقصاه ، ولم يدع الأجانب متفلاً فيها يمكن اعتصار ثروة الشعب بواسطته ، إلا وتفلوا منه ، وتسلبوا تحت حمايتها إلى كل المرافق الاقتصادية للأمة ، تحميمهم من أنفسهم محاكمهم الخاصة ، ومن الأمة محاكمهم المختلطة ، التي مهدت لهم كل سبل الإثراء الفاحش ، واستغل هؤلاء الأجانب طيبة الكثرة من أبناء هذا الشعب ، ونظرتهم إليهم ، على أنهم خواجات من بلاد بره ، لهم علم وفن وفكر ، وأنهم - فوق ذلك - ضيوف علينا ، يجب إكرامهم ، ولكن هؤلاء

(١) انظر القصيدة كاملة ضمن المختارات .

الأجانب ، كانوا قد فقدوا ضمائرهم ، وراحوا يستغلون ذلك كله أبشع استغلال ، وأثار كل هذا « فخرى أبو السعود » وهو في إنجلترا يرى بعينه أن الشعب هناك ، هو سيد أرضه ، ومالكها الحقيقي ، بل إن الإنجليزي في بلاده ينظر إلى الأجانب بازدراء ، لقد قالت له زميلته الإنجليزية في صراحة « إن الإنجليزي لا يحبون الأجانب بعامة لأنهم يعلنون أنفسهم سادة العالم » (١) ومن هنا ، ويتأثر من كل هذا ، أو من بعضه ، نظم قصيدته « أعداء لا ضيوف » وبحث بها إلى الرسالة فنشرتها في ٢٦ فبراير ١٩٣٤ ، (٢) وهو في افتتاحية هذه القصيدة يوجه الخطاب إلى هؤلاء الضيوف الثقلاء فيقول :

فصوليون أنتم لا ضيوف ثقلم في منازلنا مقاما
زعمتم مالكم ، دم مصر ، يحيا به أبناؤها ، عاما فعاما
وما أموالكم إلا بلاء تسرب في دم الوادئ سما
وداء في مفاصله عياء مشى يرى المفاصل والعظاما

ثم يوجه الخطاب إلى أهناك وطنه من المصريين فيقول :

بنى مصر بغى اللؤماء بغيها علام نطيق بغيهم علاما
أخو الافرنج إن تكرمه يشمخ عليك وإن تقومه استقاما

ثم يطالب المصريين ، بأن يعملوا على شل أيدي هؤلاء الأجنبي عن اقتصادياتنا ، حتى يمكن أن نتنفس ، ويدعو كذلك إلى إلغاء هذه الامتيازات البخاترة الملعونة ، وإلى تحطيم قيودها فيقول :

أشلوا عن تجارتنا يديهم فقد ملكوا بها منا الزماما
وقدوا عن معاصمنا امتيازنا يكبلنا به القوم اهتضاما

(١) مقال لفخرى أبو السعود بالعدد ٣٦ من الرسالة ص ٤١٨ الصادر بتاريخ ١٢

مارس ١٩٣٤ .

(٢) ص ٣٤٤ عدد ٣٤ .

ولم أر مثله ذلا وعارا وغبنا ، للمبالاة واختراما
أذاقونا المسئلة في حمانا وإن نصمت.. أذاقونا الحما

- ٣ -

على أنه يمكن أن نشير إلى قصيدته « يوم التل » باعتبارها أهم القصائد التي نظمها في هذه الفترة - فترة التغرب - من الوجهة الوطنية ، ووجه الأهمية في هذه القصيدة موضوعها ، ذلك أن الناس كانوا يستشعرون العار تجاه ذكرى هذا اليوم المشثوم باعتباره يوم المعركة الفاصلة التي انتصر فيها الإنجليز على عرابي ومن ثم تمت لهم السيطرة على وادي النيل ، ومن هنا كان فريق كبير من الناس يلتقي بالتبعة على قادة جيشنا فيه - كأن المعركة كانت بين قوتين متكافئتين ، أو مبدقين لما كان يشيعه المستعمرون حول هذه المعركة من أقاويل ، من شأنها أن تحط من قدر الذين ضحوا بحياتهم فيها ، ولكن « فخرى أبو السعود » في قصيدته هذه استطاع أن ينفي العار عن هؤلاء القادة ، وأن يتخذ من هذا اليوم مصدر فخر يمكن أن يعتز البنون به :

ولم أر « يوم التل » عارا وسبة ولم أره إلا أغر ممجدا
أنجبل أن قمنا نذود عن الحمى ويسحب أذيال الفخار من اعتدى ؟
تلفق من عبر المحيط مهددا فما حفلت آياؤنا من تهددا
وقالوا شباة السيف دون عدونا وإن يك عرض البر والبحر أيدا

وقد بحث الشاعر بقصيدته هذه إلى مجلة الرسالة ، مع خطاب يبين فيه وجهة نظره في هذا اليوم ، ويقترح عليها أن تنشرها يوم ١٥ سبتمبر ، أي في مثل ذلك اليوم الذي وضعت فيه إنجلترا يدها على القاهرة سنة ١٨٨٢ ليكون في ذلك تذكرة للناس .

وقد استجابت المجلة لاقتراح الشاعر ، ونشرتها في العدد الصادر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وكان ذلك قبل استقالة الطاغية « إسماعيل صدقي » ببضعة أيام ، أي في الوقت الذي بلغت فيه المأساة الوطنية قممها .

وقد تناول « فخرى أبو السعود » فى هذه القصيدة تفاصيل الاعتناء
البريطانى على الإسكندرية والذى انتهى بإحراقها ، ثم ندد بعجز الجيش
الإنجليزى عن اقتحام خطوط التحصينات المصرية بكفر الدوار .

ولما أحال الثغر جحراً غرباً تقدم يبنى مستراداً ومهتدى
فأبصر من دون السبيل بوسائل جثيا على هام المسالك رقدا
تصلدى إليهم كرة بعد كرة فأصلوه نيراناً فأب مبسدا ..

ومن هنا ، وخشية من تجدد هزيمته السابقة فى رشيد ، عمد إلى مهاجمة
البلاد من حدودها الشرقية ، وبن « فخرى أبو السعود » فى حرارة وطواعية ،
بعض هذه الأساليب التى تندى لها وجوه الذين يستشعرون الحجل ، والى
اتباعها الجيش الإنجليزى فى هذه المعارك ، ومن بينها ما يعبر عنه فى هذه
الآيات :

جرى تبره فيهم وسالت سفينه تمزق عهدا للقناة مؤكدا
وساق على الأحرار بالتل سفلة أتى بهم من كل فج وأعبدا
ولولا جنود الائم تلغع دونه لما مد رجلا للقتال ولا يدا
وما نال إلا بالخرىمة مغنا ولا سل إلا فى الظلام مهندا
ثم دافع عن « أحمد عرابى » فى آيات تحمل كثيراً من معانى التقدير
لهذا القائد المفترى عليه . . فقال :

سلام على قبيل تولى زمامها أعف الورى قصداً وأقام يدا
أصاب بها نجما فلما كبا بها وأدركه منها المثار تجلدا
جريرته أن رام مصر عزيزة وشاء لها أن تستقل وتسعدا
ورام لها من طغمة الترك معتقا وبعدا لعهد الترك أشام أنكدا

ثم اختتم قصيدته بأنه يرجو - وقد أوحى إليه هذه الذكرى بذلك
الرجاء - أن يعود مع الزمن « أحمد عرابى » آخر يحقق لمصر أمانيها :

ستذكره بصرة الفتية ما ابتغت لدى الحق عهدا أولدى المجد فوعدا
صبي ذكرنا - رغم المزيمة أحمدا سيبحث فينا للفتية . . أحمدا (١)
وقد استجاب الله لهذا الرجاء فخرج من صفوف هذا الجيش زعيم هذا
الشعب . . جمال عبد الناصر .

- ٤ -

وعاد الشاعر من انجلترا وهو يحمل شحنة عالية من الأفكار التي كانت
تتناهب هناك بين قوم يرون فيه واحداً من أولئك الشرقيين الذين يحتاجون
للتزود من علمهم وثقافتهم ليستكملوا بها نقصاً يحسونه في تكوينهم العلمي
والثقافي (٢).

وبين شعور جارف بما للعربي من فضل على الحضارة في هذا العالم ،
وفي طريق عودته - قبل أن يصل إلى أرض الوطن - التقى وجهاً لوجه
« ببجل طارق » و« لطارق » هنا رنة في الأسماع وصدى في الأفتلة ، لقد
كان لقاء مثيراً بين الحاضر المتخاذل ، والماضي الأشم الشامخ ، وهنا
وبتأثير من هذا اللقاء الموحى نظم قصيدته حصن طارق ، وقد أفرغ فيها
أصداء مشاعره وأحاسيسه ، التي كانت النظرات الإنجليزية المتعجرفة
تمزقها تمزيقاً .

لقد مرت السفينة أمام هذا الحصن الذي تحمل أحجاره أغلى ذكريات
يمكن أن يعتز بها عربي فبراه وقد :

تغيرت الدنيا وباد قيله وغيره دهر مضى وقرون
وقطب لما أنكر العصر حوله وسارت بما لا يشتهي شئون
تعطل من بعد اعتصام ومنعة أسير بأيدي الغالين رهين

(١) القصيدة طويلة ووجودة بالكامل ضمن المختارات . وحيد هنا أحمد عرابي
وأحمد الغاني الزعيم المتطهر .

(٢) مقال فخرى أبو السعود بالرسالة العدد ٣٦ ص ٤١٨ بتاريخ ١٢ مارس ١٩٣٤ .

وتغلب عليه الحكمة التي أوحى بها هذه الرؤية المتجعة فيهتف من أعماقه : .

إذا لم تكن هجيات قوم حصونهم تداخت رواسى دونهم وحصون
ويعود بذاكرته لحظة إلى الماضي فتمر الحوادث مسرعات يأخذ بعضها
برقاب بعض ، متلاحقة كأنما تعرضها آلة عرض سينائية :

تعالى بها « الله أكبر » مرة فبادت نهول دونها وحزون
وسالت شعاب بالصوارم والقنا وأحرق خلف الفاتحين سفين
وقامت بأطراف الجزيرة دولة وأزهر عرفان وأشرق دين
جلا أمس عنها آلهما وبنومهم على الضفة الأخرى الغداة قطين

فلا يملك ، وقد تابعت هذه المشاهد أمام عيني ، من خلال شرفات
الحصن الأشم ، إلا أن تتمزق نفسه حزنا ، وإلا أن تهاوى أعماقه بكاء
وأسفا ، على أثر مقارنة قاسية قادته إليها الذكريات التي أوحى إليه بها
هذا الجبل . . ويروح يغمغم في همس يقطعه التشيع :

خشعت وعادتنى لدى حصن طارق همومى وابتلت لديه جفسون
لشعب يسبح الذل من بعد ما سما له فى الورى ملك أشم مكين^(١)

- ٥ -

وما أن وطئت قدماه أرض وطنه فى أكتوبر من سنة ١٩٣٤ ، حتى
راعه أن الحماسة التي كانت تتقد فى صدور المواطنين ، والتي كانت تقود
الجموع الثائرة ، فى أوائل عهد « إسماعيل صدقى » والتي خلفها
فى أوجها عند مغادرته أرض الوطن إلى إنجلترا ، راعه أن يرى كل
هذا ، وقد فتر ، فى عهد « عبد الفتاح يحيى » إذ — خيل إليه —
أن الأمة استنامت إلى ما يراود بها ، واستكانت فرضيت ، أو خيل إليه
أنها رضيت ، عن هذا الوضع المهين .

(١) راجع القصيدة كاملة ضمن المختارات .

كان في ظنه أن يعود إليها فيراها ، وقد مشت خطوة إلى الأمام في طريقها إلى الحرية ، وإلى العدالة الاجتماعية ، ولكنه وجدها وقد ارتدت يجمودها خطوات ، فنظم أول قصيدة بعد عودته بعنوان « لا تباوها » ونشرها بالرسالة في ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٤ وتقتطف منها هذه الأبيات :

من الملك بات مهضوم الحمى و تراث بات نهب الناهيين
ولأرض نام عنها أهلها تاركها بين أيدي الآخرين
وتخلى قادة عن أمرها فاستوى المائن منهم والأمين
ثم يوجه الخطاب إلى القادة والذين هم في الدرجات العلا من المجتمع حينئذ فيقول :

لا يطل منا بفضل أحد لا يبرز الفرد والجمع مهين
لا نساموا درجات بينكم كلكم للغاصب العادي قطين
لا تباوها بمفان رفعت هي للسكنى قبور وسجون
أو بأثواب عليكم نمت أنتم أسرى بها لو تعلمون
حرروا أعناقكم ثم افخروا بحطام أو بجاه تملكون
وقد استقالت وزارة عبد الفتاح يحيى بعد ذلك بأسبوع واحد إذ كانت هي الأخرى قد بلغت قمة مأساتها ذلا ومهانة .

- ٦ -

وعهد الملك « فؤاد » إلى « محمد توفيق نسيم باشا » بتأليف الوزارة ، وكان الرجل برغم جموده على وفاق — إلى حد ما — مع « حزب الوفد » أكثر الأحزاب التصاقاً بالجمهورية في ذلك الحين ، وكان الوفد يطعم — إذا ما جرب سياسة المهادة مع هذه الوزارة — أن يعود دستور سنة ١٩٢٣ ، وهو يعتقد أن أية انتخابات برلمانية تقوم على أساس من هذا الدستور ستدفع به حتماً — بناء على تليجتها — إلى

كرامى الحكم ، وكان الملك قد شعر بضعفه وضعف حكومته
السابقين أمام الإنجليز فأبدى بعض اللين أمام تساهل الحكومة ،
لإزاء تحركات الوفد وسياسته .

واغتنم الوفد هذه الفرصة ، فأراد إيقاف الجماهير حتى تستشعر
كيانها إذ أن من هذا الكيان يستمد ثلوف قوته ، استعدادا لخطواته
المقبلة ، التى يعتقد أنه يصل بها إلى الحكم ، فيمكن لأتصاره الإفادة
من الحكم ، وتعويضهم ما فقلوه طيلة بعهده عن الوزارة فى الفترة
الماضية .

وعلى هذا دعا الوفد إلى عقد مؤتمر وطنى كبير تستعرض فيه
جميع مشكلات الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم تمنح
الحكومة فى عقده . وعقد فى يومى ٨ ، ٩ من يناير سنة ١٩٣٥ بالزمالك .

وكان أن سجلت شركة مصر للتمثيل والسينما صور هذا المؤتمر
وعرضتها فى عدد خاص من جريدتها الناطقة بدور السينما المختلفة .

وفى إحدى هذه الدور دخل : فخرى أبو السعود ، وشاهد هذا
الفيلم كما شاهده غيره من المتفرجين ، ولكن الذى راعه يومها ،
وفجر سخطه ، أنه أحس بسخرية بعض الأجانب من رواد هذه
الدار ، بالمؤتمر والمؤتمرين ، أوضحها فى أذنيه تعليقاتهم المتهكمة ،
وأبدتها لعينيه إشاراتهم الوقحة ، ولقد أحس فى هذه اللحظة ،
بالوخزات نفسها التى كان يحسها فى إنجلترا ولكنها كانت
هنا أعمق عجزا ، إنه هنا فى بلده ، وبين مواطنيه ، وهو
لا يرى فى هؤلاء الأجانب إلا لصوصا ، جاعوا ينيبون خيرات
بلاده ، ويستترفون دم أبنائها ، ويخرج من السينما ليمتدح
الرسالة بقصيدة نارية ، يصب فيها غضبه ، لقد تملكه الغيظ
من هذا المنظر ، ولذلك راح يثير فيه النخوة والحقد والغضب ،
وقد نشرت الرسالة هذه القصيدة ، بعددها الصادر يوم ٢٨ يناير
١٩٣٥ بعنوان :

« فإنك مصرى » ومنها هذه الآيات :

أتم صاغراً وارغم حياتك واشقها	فإنك مصرى وإنك مسلم
وإنك بين البيض أسمر كالح	وحظك في الدنيا كجلدك أسحم
وأنت أجبر في بلادك خادم	وغيرك يستجلى رضا ويخلم
تولى بأصق درها وتاجها	ويرضيك مايقى ، ويكفبك درهم
ولا تمنين يوماً عليه إذا نبرى	يسبك مفتاتا عليك ويشتم
فغيرك من أن مسه الحيف عافه	وثار عل مستكبر ينهم

ويتهى من هذا التهكم اللاذع ، وهذه السخرية المريبة ، إلى قوله :

فحش راغما.. أوقاسم للعرضاربا بعزم ، لإماما أحجم الجن ، يحجم
وحزم يصم السمع عن هجو كاشح وجد يجب الصمت لا يتكلم

- ♥ -

ومع أن الأديان بعامة ، والدين الإسلامى بخاصة ، تدعو الناس إلى العدل أولا ، والإحسان ثانيا ، ومع أن القرآن الكريم ينادى بأجلى بيان « إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » ويصف المؤمنين بأنهم .. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .. إلا أن حب العاجلة ، كان قد استولى على قلوب بعض الناس ، من الذين لا يرقبون في الدين إلا ولا ذمة .. فرأينا بعض رجال الدين في ذلك العهد ، يلوذون بالقصر ، ويتقربون فيه إلى الملك . ويسبحون بحمده ، بل إن بعض مشايخ الطرق الصوفية ، أحياء ليالى ومضبان المباركة في دار المنلوب السامى البريطانى ، وراح بعض المتملقين منهم ، يفسر الآية الكريمة . « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » على أنها تعنى الخضوع المطلق للحكام ، باعتبارهم أولى الأمر ، وتعلق بعضهم بأذيال أحاديث نسبت إلى الرسول الأعظم ، وهى إما موضوعة في زمن الطغاة من الملوك أو أنها

صحيحة وإنما تأولها المنافقون بما لا يتفق مع الهدف الأصلي لها ، ومن هذه الأحاديث « إن قلوب الملوك بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » بمعنى أن الملك لا يلام على فعله بوجه من الوجوه ، حتى ولو كان ظالماً صراحاً لأن ما يفعله ، إنما هو إرادة الله الذي لا راد لقضائه ، ودعا بعضهم إلى التواكل ، وأن يتخذ الناس عبارة « دع الملك للمالك » شعاراً لهم . . هذا إلى آخر ما هناك من آراء وأقوال مفتراة على الدين الصحيح .

ولا أقول هنا إن هذا القول يسرى على كل رجال الدين ، وإنما أعني البعض منهم الذي كان يمثل الجشع المتغلغل في النفوس ، والطمع الذي ران على القلوب .

والحق إنها كانت محنة ، شقى الناس بها حيناً من البصر في هذه الفترة من تاريخنا ، غير أن الشعب العربي في مصر ، كان واعياً إلى حد يدعو إلى الإعجاب ، فقد انصرفت جماهيره ، عن هؤلاء الذين انحرفوا عن الجادة السليمة ، وراحت الصحف ذات الطابع الهزلي تسخر بعض مقالاتها ورسومها « الكاريكاتورية » للتيل من هؤلاء وهؤلاء ، وانبثرت المجلات الدينية تبين وجهة نظر الدين الصحيحة فيما يدعون ، ومحارب النفاق والرياء ، وتوضح ما كان عليه المسلمون في العصور الأولى ، من حفاظ على الكرامة ، ومقاومة للظلم ، وما قام به السلف الصالح من تحد للحكام الذين انحرفوا عن جادة الصواب . . أولئك العلماء الذين تفخر بهم مسيرتنا التاريخية العظيمة .

• • •

وتأثر « فخرى أبو السعود » بهذه التيارات التي كانت تصطرع من حوله وانحاز بطبيعة تكوينه الفكرى إلى الجانب السليم ، ومن ثم أسهم بقصيدته « الله قد عبثوا ! » ، والتي نشرتها الرسالة في العدد ٨٥ الصادر في ١٨ فبراير ١٩٣٥ ومن هذه القصيدة قوله :

يا قوم من شرعة الإسلام دينكم أن ليس يعبد إلا الواحد الصمد
الله ليس يحب الدين من أمم لغيره طأطأوا أو غيره عبدوا
ويستطرد في هذه القصيدة حتى يصل إلى قوله :
من لي بعهد به آباؤنا ملكوا يكفهم كل ما حلوا وما عقولوا
لا يقبلون وصاة الأوصياء ولا أحكام من أمر فوا في الحكم أو قصلوا
الله قد عبدوا ، دون الورى ، وله بذلك في الصلوات الخمس قد شهدوا ،

- ٨ -

وكانت هذه التيارات المختلفة ، تحاول أن تأخذ طريقها إلى مفاهيم
الناس ، ولكن الصحافة ومن خلفها جماهير الشعب ، كانت لا تفتأ تفند
هذه الأباطيل التي يراد بها صرف الشعب عن مطالبه الحقيقية وراحت
هذه الصحف تطالب بعودة دستور سنة ١٩٢٣ تنفيذا لقرار المؤتمر من
جهة ، ولأنها كانت ترى فيه — على ما به من نقص — أنه الطريقة
الأكثر مثالية . التي يمكن أن يجد الشعب في ظلها ما ينشده ، من حكم
يستطيع أن يصبح رقيبا عليه — ولو إلى حد ما — لو أراد ذلك ، وصمم
على ما أراد . ولقد بالغ الوفديون في تعظيم هذا الهدف ، حتى كادت
الأهداف الأخرى تفقد مكائنها تماما وقد كان من بينها الاستقلال التام
الذي لم يعد هناك من يفكر فيه سوى أفراد قلل .

* * *

وخشى « محمد توفيق نسيم » أن يتهاون في الاستجابة لهذه المطالبات
بالدستور فتسوء العلاقات التي قامت بينه وبين الوفد ، وبالتالي تتعقد
الأمور التي قد يؤدي تعقيدها إلى انحمار البلاد في هاوية من الحرب الأهلية ،
فتقدم إلى الملك (فؤاد) بخطاب مؤرخ في ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٥ يلتمس فيه
أن يتفضل فيأذن بعودة هذا الدستور ، وقد أجابه الملك بخطاب في اليوم نفسه
مؤداه أن الملك يوافق مبدأ على اقتراح عودته (١) ، ولكنه لم ينفذ

(١) ص ٢٠٠ من الجزء الثاني من كتاب في أعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن

ما جاء في خطابه فورا ، ومعنى ذلك أن الملك قام من جانبه ، بتخدير مؤقت لمشاعر الجماهير الثائرة . .

ومرت شهور ثلاثة بعد هذا التصريح ، والشعب ينتظر وفاء الملك بوعد ، وعودة هذا الدستور ، والتقاء النواب بساحة مجلسهم ، ولكن الزمن يمر ، ولم يتحقق شيء من هذا ويناجي « فخرى أبو السعود » دار النيابة المغلقة بقوله :

يا دار قد عبثت بك الأقدار وبغى عليك المعشر الأشرار (١)

ثم يشير بعد أبيات منها ، إلى البرلمان في أول عهده ، عندما لمعت فيه أسماء نواب أحرار ، استطاعوا القيام بواجبهم ، وما تلاهم بعد ذلك من نواب جاء بهم « إسماعيل صدق » إلى هذا المجلس ليكونوا مجرد نمر - كما سمتهم صحافة ذلك العهد - فيقول :

ما كان أفخم ذاك مظهر سؤدد لو دام منه سؤدد وفخار
غيظ العداة له وكادوا كيدهم حتى علاك الوهن والإفكار
سدوا الطريق إليك أوبعثوا بمن لا ترضى مصر ولا تختار

وأخيرا يعلن رأيه ، في وجوب عودة الحياة النيابية للبلاد ، وأنه لن يستقيم بناء هذه الأمة ، إلا على الأسس الديمقراطية السليمة ، وأول مظهر من مظاهرها ، وجود النواب الذين ينوبون عنها ويتحدثون باسمها ، في صراحة وصدق وإخلاص ويرقبون مجريات الأمور فيها ، بعين ناقدة وعزيمة قادرة فيقول :

يا دار أنت رجاء مصر وفي سوى ناديك ليست تباع الأوطار
لن يستقيم لآل مصر بناؤهم يوما وركتك بينهم ينهار
ما دام ربعك موحشا قفرا فلن يلتام شمل أو يعز ذمار
يبقى بغيرك أمرهم فوضى . . به يلهو اللثام ويعبث الأغوار

(١) قصيدة على دار النيابة العدد ١٠٥ من الرسالة الصادر في ٨ يوليو ١٩٣٥ .

وتمر بعد ذلك أيام وأيام حتى تأتى مناسبة الاحتفال بذكرى وفاة الزعيم
« سعد زغلول » فى أغسطس سنة ١٩٣٥ فيجد « فخرى أبوالسعود » أن
الفرصة سانحة لتذكير الناس بمطالبتهم وشغلهم همهم وإثارة حماسهم .

ولقد كان لسيرة « سعد زغلول » فى ذلك العهد مكانة فى وجدان
الجمهير لا تطاولها سيرة أخرى ، ومن هنا يمكن « فخرى أبوالسعود »
أن يستغل هذه الناحية ، وأن يتوجه بالحديث إلى « سعد » فيكون
لحديثه هذا صدى قوى فى أذهان الناس ، إذ يرتد إليهم مقرونا بأبرز
الأسماء الملهمة الموجية وقتئذ بمعاني الكفاح والبطولة فيم للشاعر بهذا ،
التأثير الذى يريده . . .

ومن ثم نظم قصيدة فى هذه المناسبة بعنوان « ذكرى سعد » (١)
أودعها ما دار فى ذهنه من خواطر أثارتها هذه الذكرى ، وعدد فيها
بعض جرائم الذين اغتصبوا حقوق المواطنين باسم الحكم ، ومن هذه
القصيدة قوله مخاطب به « سعد زغلول » :

استقبلت بك مصر سالف رفعة	وبدت للمأول التلوى بشائر
فأتى ثمان بعد ذاك كأنها	دهر على الوادى المروع داهر
ولدت بها الآمال فى إبانها	وتلت سنالك على البلاد دياجر
سرفت زمام الحكم فيها عصبه	لا عاد عهدهم الأثيم الدائر
من كان قاع السجن مأوى مثلهم	عمرت محافل باسمهم ومنابر
أجروا على الأهلى ما لم يحره	فى سالف الأحقاب غاز فاجر
وتحكموا والأجنى مظاهر	لهم وجند الأجنى مناصر
أوهى وأوهن مارأوه شرائع	عبثوا علانية بها و « دساتر »

• • •

(١) نشرت بالمعد ١١١ من الرسالة الصادرة فى ١٩ أغسطس ١٩٣٥ .

ولقد أحقب ذلك لون من ألوان التلمز ، سرى في البلاد مبرياتا
 حديثا ، وراح يتلمس الفرصة التي يستطيع أن يعبر فيها عن وجوده
 تعبيرا حقيقيا ، وقد منحت له هذه الفرصة على أثر خطبة ألقاها
 « السير صويل هور » وزير الخارجية البريطانية أيامئذ في قاعة الجولدهول
 بلندن يوم ٩ من نوفمبر سنة ١٩٣٥ صرح فيها بأن حكومته نصحت
 حكومة مصر بعدم العودة إلى دستور سنة ١٩٢٣ ولا إلى دستور
 سنة ١٩٣٠ ، واعتبرت الجماهير المصرية - ولها كل الحق في ذلك -
 أن هذا التصريح يعتبر تدخلا وقحا من الإنجليز في شئون مصر الداخلية ،
 ومن هنا انفجر هذا التلمز ، وتحول إلى ثورة شعبية سقط فيها بعض القتل
 من المواطنين ، وخشى الملك « فؤاد » العاقبة وسارع حتى لا يتسع
 الخرق على الراقع ، فوافق على عودة دستور سنة ١٩٢٣ في ١٢ ديسمبر
 سنة ١٩٣٥ وأعقب ذلك استقالة وزارة « محمد توفيق نسيم » وتكوين
 وزارة ائتلافية برئاسة « علي ماهر باشا » في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ ، ثم
 كان ما كان من تأليف « الجبهة الوطنية » برئاسة « مصطفى النحاس » زعيم
 حزب الوفد المصري ، التي انتهت إلى عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ التي سماها
 مصطفى النحاس يومئذ « معاهدة الشرف والاستقلال » (١) وبذلك انتهت
 مرحلة من مراحل تاريخ مصر الحديثة .

- ١٠ -

لست أشك ، بعد هذا العرض السريع ، لهذه المرحلة من مراحل كفاحنا ،
 وبعد هذا التحليل الموجز أيضا للمدى تجاوب « فخرى أبو السعود » وحوافظه
 مع هذه المراحل وكيف كان في شعره معبرا عن أحاسيسه ، أن القارئ
 قد ألمّ بالما كافيا ، باتجاه فخرى السياسي وقلر فيه لإيمانه بوطنه ،
 وإخلاصه له ، وتفانيه في حبه . على أني أعتقد كذلك أن الشاعر استفاد
 من فترة إقامته بالبحر في أثناء تلقيه للدراسة بصرف النظر عن العلماء
 المستحكم بينه وبين الإنجليز - الأمر الذي يتضح جليا في قصائده - إذ

(١) أجبر الصمصم المصري - فيما بعد - مصطفى النحاس نفسه أن يعلن إلغاء هذه
 المعاهدة سنة ١٩٥٠ . بعد أن كشف الزمن زيفها وبانت على حقيقتها شوهاء باطلها .

عرف قيمة الحرية ، التى يعيش فيها الشعب الإنجليزى ، ومدى تمسكه بالديمقراطية المنبثقة منها ، فأمن الشعب بها إيمانا عميقا ، ومن ثم ود تطبيقها فى مصر تطبيقا يتسم بفهمه العميق لها ، وقد اتضح ذلك الإيمان ؛ وهذا الفهم ، فى مقال كتبه « فخرى أبو السعود » ونشرته مجلة الهلال ، بعدها الصادر أول يونيو سنة ١٩٤٠ (١) أى قبل وفاته ببضعة أشهر وقد جاء فى هذا المقال قوله :

« . . إن أول شروط الدولة الصالحة أن تدع للأفراد أوفر قسط ممكن من الحرية لأن الإنسان يشقها بطبعه ، ولأن الحرية لازمة لنشاطه الفكرى ونجاحه المادى ، ثم إن حرية الفكر أو الاجتماع ، لازمة لاطراد رقى المجتمع ، وتوثيق العلاقة بين الشعب والحكومة ، لأن الحكومة التى تريد مخلصا ، خدمة مصالح الشعب ، وتحقيق رغباته ، لا بد لها أن تعرف ما تلك المصالح والرغبات ، ولا سبيل إلى معرفتها ، إلا بالإصغاء إلى صوت الشعب ؛ ممثلا فى كلامه وخطاباته وكتبه وصحافته واجتماعاته ، ويمكن تقدير مدى إخلاص الحكومة فى خدمة شعبها بمقدار الحرية التى تركها له فى نقدها ولن تفيد حرية الفكر فى دولة إلا أن تكون هناك مساوى يراود حمايتها ؛ وامتيازات جائرة يخشى عليها من صوت العدل . . . » .

ولم تكن نظرة « فخرى أبو السعود » إلى الحرية مجرد نظرة مثالية ، ولكنه كان يفهم قيمة الأسس الحقيقية التى يجب أن تقوم عليها هذه الحرية ، بحيث إذا فقدت هذه الأسس ؛ أو أجزاء منها ، كانت الحرية الناجمة عن هذا الفقد . . مجرد ألفاظ براق لا تحتوى من الحرية على أى مضمون ، أو يكون المضمون فيها مساويا للأجزاء المستكملة من هذه الأسس الضرورية ، والحرية فى نظر « فخرى أبو السعود » يجب أن تقوم أولا ، وقبل كل شئ ، على قاعدة من العدالة الاجتماعية ، وإيضاحا لوجهة نظره هذه يقول فى مقاله السالف الذكر « . . لن تتوطد الحرية فى دولة حتى تتوطد معها المساواة ، لأنه إذا كانت هناك طبقة متميزة على

غيرها بامتلاك القوة والحق في الحكم ، فإنها ستوفر على مصالحها الخاصة وتعمل جاهدة لغبن الطبقة المحرومة ، ومن ثم نجب المساواة بين جميع الطبقات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، إن الطبقة المزوية عن الاشتراك في التشريع والتنفيذ ، ستحمل مصالحتها الاقتصادية والاجتماعية عند تنفيذها . إن الناس مختلفون ، ذكاء واقتداراً . . وهذا الاختلاف الطبيعي وحده هو الذى يجب أن يعين الفرق بينهم . . لا القوانين التعسفية التى تضعها الدولة التى تحاى بها طبقة أو طائفة أو جنسا أو أتباع مذهب معين . .

وقد أكد « فخرى أبو السعود » فى هذا المقال : « إن عدم المساواة فى شتى عصور التاريخ كان من أكبر أسباب الثورات » .

ولاشك فى أن أكثر هذه الأفكار ناضجة ، بل إن أفكاراً مماثلة مستفاد من الاحتياجات الحقيقية لشعبنا ، كانت فى تقدير رجال ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولهذا بادروا بتنفيذها عندما تمت لهم « أمنية » هذا الشعب الكبرى ، بالقضاء على الملكية الفاسدة ، والطغیان الإقطاعى والرأسمالى وفى هذه الأفكار أيضا دليل واضح ، على تقدمية هذا الشاعر ، فى اتجاهاته السياسية والاجتماعية ، فلذا قدرنا أن الشاعر لحقته منيته ، وهو فى الثلاثين من عمره ، أدركنا أن خيرا كثيرا ، كان من المتوقع أن يصدر عنه لو امتد به الأجل . غير أن لحظة من لحظات اليأس القاتلة ، كانت أقوى عليه من أملنا فى خيره الكثير .

- ١١ -

وقبل أن نختم هذا الفصل الذى أفردناه عن الشعر الوطنى عند « فخرى أبو السعود » نجب أن نتقل معه إلى أفق أوسع مدى ، بحيث تشمل نظراته الشعرية العالم أجمع وتمس جانبا من جوانب الإنسانية ، بهم البشرية بأسرها ، فقد اشتعلت الحرب العالمية الثانية ، كما نعلم ، فى أواخر سنة ١٩٣٩ باجتياح ألمانيا النازية لحدود بولندا ، واهتمت مصر بهذا الحادث ، لارتباطها مع إنجلترا بمعاهدة ١٩٣٦ ، التى ينص أحد بنودها باستخدام إنجلترا للأراضى المصرية فى حالة وقوع الحرب

أو احتمال وقوعها ، وكانت إنجلترا قد أعلنت عن نفسها ، طرفاً في هذه الحرب التي قامت .

وأصدرت مجلة الهلال عددا خاصا عن الحرب في نوفمبر سنة ١٩٣٩ ضم عددا من المقالات التي تلور حول هذا الموضوع ، وكان من بينها قصيدة « لفخرى أبو السعود » بعنوان « الحرب » ويتجه الشاعر في هذه القصيدة إلى المقارنة بين الأجداد الحربية التي تنسب في العادة إلى القواد ، وبين المصائب التي تصيب الذين يتعرضون لويلاتها . . وبخاصة عندما تأكل نيرانها المدن الآمنة ، ويشمل أذاها اللين لاناقة لهم فيها ولا جمل ، ومن ثم يتحولون إلى فقيد ، أو مشوه ، أو ضائع لا يهتدى إلى مصير ، وقد جاء في هذه القصيدة قوله ، والخطاب هنا موجه إلى الحرب :

لأجلك قلما مجد البيض والقنسا	وشهب من الجرد العناق وجون
وغنت بأيام الغزاة قصائد	جياذ على مر الدهور عيون
وقامت لهم بين الحواضر إذ مضوا	تمائيل تحمى مجدهم وتصون
فهلا أقاموا للأى طحتهمو	تمائيل تحمى حالم وتبين
لكل برىء ما جئنا ولا بغي	وكان وقوداً حين شب أتون
ومن أخلت من وجهة النار والظبي	ومن بان منه ساعد ويمين
ومن غاب راعيها ويتم طفلها	ومن ريع عنه صاحب وخدين
وربت أعياد من النصر تنطوى	مآتم في أطوائها وشجون

- ١٢ -

وجاء العدد التالى من المجلة نفسها « الهلال » أى عدد ديسمبر ١٩٣٩ وهو يحمل قصيدة أخرى « لفخرى أبو السعود » يتحدث فيها عن عصبة الأمم « الأخيت السابقة لهيئة الأمم المتحدة » فيبين كيف انتهت الآمال التي كانت مقودة عليها وكيف أضحت بناية السلام ، مجرد أحجار صماء ، بينها

راحت الحرب تنعق في كل مكان ، وذلك لأن الذين أقاموها ، لم يكونوا
 على إيمان وثيق بما يقيمون ، ومن هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :
 قبل «السلام» وشادوا الدار عالية ياليتهم إذ دعوا للسلم ما ماتوا
 ياليتهم نزعوا ما في أكفهم ففي الأكف منيات وعلوان
 ياليتهم نزعوا ما في جوانحهم ففي الجوانح ثارات وأصغان
 هلى أرائكها ساد السكون بها وفي منابرها صمت وإذعان
 ! دار السلام غلالة معطلة وللحليد يدور الحرب إرنان

- ١٣ -

هكذا كان شعور «فخرى أبو السعود» نحو الحرب التي قامت على
 ساقها في أوروبا ، ثم ما لبثت أن امتدت أطرافها فغطت ربوع المغرب
 والمشرق ، ما أتت في طريقها على شيء إلا جعلته هشيما ، حتى بات
 العالم كله في أتون لا ينجو أواره ، وضل السلام فلم يجد أمامه من سبيل ،
 لعدة سنوات مرت عجافا تبث الموت في كل مكان ..

ولقد كان الشاعر على حق في هذا الشعور المرير ، نحو هذه الحرب
 التي ما زالت البشرية تعاني من آثارها إلى الآن ، والتي كان الشاعر نفسه
 من أوائل ضحاياها ، إذ كانت - كما طالعنا قصة حياته - هي التي صنعت
 قمة مأساته ، التي لم يستطع أن يقوم بأداء دوره فيها ، بل ما لبث أن
 انهار أشلاء دامية فوق جدارها المنهار .

حذاء والشاعر

الشعر الوجداني « فخرى أبو السعود »

الأدب اللذائى الذى يتناول الإنسان من حيث كيانهِ الخاص ، وصلته المحدودة بالأقرين إليه ، وتأثيره بما يتصل به مباشرة من أحداث ، ومشكلاته التى لا تهم أحدا سواه ، إلا بالقليل الذى يجد فيه غيره ، صورة من مشكلاته هو ، فيكون فى هذا مدعاة للتعاطف والمشاركة الوجدانية . . .

هذا الأدب أسبق فى ظهوره من الأدب الموضوعى الذى يتناول الظواهر العامة فى المجتمع الذى يعيش فيه الأديب ، أو الطبيعة التى تحيط به ، على أن يتعمقها فى عمله الفنى بحيث تستحوذ على القسم الأكبر منه ، إذ يبدأ الإنتاج الأدبى عادة فى صورة تعبير منمق ، يعبر به الإنسان عن خواطره العاجلة ، وأحاسيسه السائجة وتجاريبه الحاضرة ، ثم يرسل ذلك فى صورة أقوال سائرة أو أبيات شاردة ، على أنه من التعسف أن نفضل أحد اللونين ، اللذائى ، أو الموضوعى ، على الآخر ، وذلك أن اللذائى عماسه ، والموضوعى مزاياه . . .

وقد استأنر حديثنا عن « حياة فخرى أبو السعود وشعره » الذى افتتحنا به هذا الكتاب بما نريد أن نقنأله عن عرض للشعر الوجداني عند الشاعر فقد استشهدنا فى ذلك الحديث بنماذج من شعر الشاعر نعتقد أن فيه الكفاية ، وذلك فى أثناء عرضنا لمراحل تطور حالته النفسية التى أدت فى النهاية إلى مأساته ، ولكنى أضيف إلى هذا حديثا موجزا عن : « المرأة فى حياة فخرى أبو السعود وشعره » حتى يمكن الإلمام إلى حد ما بأغلب النواحي الوجدانية عنده . . .

المرأة والشاعر

أعتقد أن الحياة الحادة التي أخذ فخرى أبو السعود نفسه بها في مطالع شبابه لم تنح لعل أن يستغرق في حب الأنثى، ولا أن يتغزل في جمالها، بالقدر الذي يتاح عادة للشبان أمثاله وإن كانت حصيلته من دراسة فنون الشعر قد أعطته محصولاً نظرياً لا يأس به من المفاهيم التي تدور حول هذا الموضوع. كذلك كان أثر دراساته للأدب الإنجليزي، شعره ونثره، عميقاً في تكوين اتجاهه الشعري نحو المرأة، فالرأى الذي نخرج به من مطالعتنا لمقالاته النقدية يمكن تلخيصه — بالنسبة للمرأة — في أنه يعارض بكل ما يملك من قوة نظرة الشعراء الحسية إليها، ويأخذ على الشعراء العرب القدماء اهتمامهم المفرط بعرض المفاصل الجسدية لها (١)، وفي تحليله للجمال، نرى أنه يساوى بين جمال الطبيعة والجمال الإنساني، من حيث النظرة العامة لهما، ووجوب أن تكون النظرة إليهما نظرة افتتان لا اشتها، والجمال هو مادة الفن، والتأثر به هو وحى الأديب. والتعبير عنه هو رسالة الأدب، بيان جمال الطبيعة أو الجمال الإنساني، وأصلق معيار لرقى الأدب وحيويته هو حسن تعبيره عن الفتنة بهذين الضربين. . . (٢) — وهو يحاول دائماً أن يربط بين المرأة والسلوك الأخلاقي، للمرأة أثرها الخطير في المجتمع، ولتزلتها من الارتفاع أو الانخراط أوثق الصلات بتقدم المجتمع أو تأخره، ولنظرة الرجل إليها ومعاملتها إياها أبلغ الدلالة على سمو الأخلاق أو تدليها. . . (٣) . وهو

(١) راجع لقدم هذا في عدد الرسالة ١ سبتمبر ١٩٣٦ أو بالمختبرات النقدية .

(٢) الرسالة عدد ١٨ يناير ١٩٣٧ مقال عن النسيب .

(٣) مقاله عن أثر المرأة في الأدب الرسالة عدد ١٤ يوليو ١٩٣٧ .

ينظر إلى الغزل الإنجليزي بإعجاب لأنه « يمتاز بسمو العاطفة ، والترفع عن ذكر الشهوات ، والأوصاف الجسمية . . » (١) .

ولم يذكر - فيما قرأت له - أوصافا جدية للمرأة ، إلا مرة واحدة جاءت في قصيدته « ذهب الشباب » (٢) وإن كان ما ذكره فيها لا يثير رغبة وإنما بالعكس ، يخلق نقورا في نفس قارئه .

قد جف عودك والصبا ما زال في أعطاف غيرك ناضرا يترقق أنوث بقدرك بعد لبين مهزه غير الزمان وما عليها موثق رهله من حيث تجمل دقة وهزله حيث الجزالة أخلق ومع ذلك فإن هذه الأبيات الثلاثة ، لا تنطوي على تشريح دقيق للجسد الأنثوي ، كالذي كان يصنعه الشعراء الهجاءون القدامى ، وليس في الأمر أكثر من تلميح لترهل جزء ، وهزال جزء آخر من الجسد الأنثوي الذي أمامه ، على أننا لاستطيع أن نسمى « فخرى أبو السعود » شاعرا غزليا نظرا لقلة النماذج التي قدمها لنا في هذا المجال إنما نحاول - في حدود إمكانياتنا - أن نتلمس مكان المرأة على اختلاف نظراته إليها في شعره ، وسنجد أن لها في مجموعة الشعر التي بين أيدينا ثلاث شخصيات سنتناولها بشيء من التحليل الموجز .

- ٢ -

وأولى هذه الشخصيات في تقديرنا ، من حيث وجوب البله بتناولها ، هي شخصية السيدة والدته ، باعتبار أنها المدرسة الأولى التي تربى الشاعر بين أحضانها ، وكان لها بلا شك أول تأثير مباشر على تكوينه السلوكي وهي - كما تبدو في الصور التي قلمها لنا الشاعر في رثائه لها (٣) - سيدة وقر مؤمنة تقيّة تؤدى الصلاة في أوقاتها .

(١) الرسالة عدد ٧ سبتمبر ١٩٤٧ .

(٢) الرسالة عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ .

(٣) نشرت القصيدة الدالية بعنوان ياليتني بمجلة الرسالة الصادرة في أول أغسطس

١٩٤٣ والهاثية بعنوان نسي بالرسالة عدد أول نوفمبر ١٩٤٣ واللاية بعنوان ذكرى العام

بالرسالة في ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ .

عبرت مواقيت الصلاة فلم تجد
ولكم نهضت لها الدجى قوامه
تبغين رضوان الإله تعالى
وهي تصوم رمضان وتعد العدة للقاءه ، وتبتهج بوروده ، لولا أن
الموت تشاركها :

ومضى الصيام فلم نحى وجهه
ولكم سميت له وكنت حفية
[سما ولم تستقبله هلالا
بأبى الشهور مهابة وجلالا
وهي شديدة الحذب على الشاعر :

أ - روح فقدت حنانها البر الذي لا يستظل بمثله أن يفقد
ب - كثر من الود لم أقدر نفاسته حتى دهاني عنوم الردى فيه
أمسيت أبحت عن محض الوداد سلى وكان لي أمس أقصى ما أرجيه
وهو يؤكد في هذه القصائد حبه لها ، وتعلقه بها :

أ - مضى النى حطمت قلبي منيته ومن وددت بروحي لو أفديه
ب - ومن برغمي أنى قد حييت وقد حواه في الأرض جاني الجنب نابيه
ج - ما كان غير صميم ودك من هوى أنحش عليه الموت إن هو صالا

ولقد ماتت هذه الأم الروم في أثناء إقامته بالبحر ، في فترة الدراسة ،
ولذلك كان شعوره بالفراق ألما وقاسيا ، يمكن أن نحس أثره في هذه
الآيات :

يا ليتنى قد كنت حاضر يومها وسعلت قبل رحيلها بترود
وشملت أنثى بلين مهدها ورأيت سكتها بجاني المرقد
لما نهضت أوصاب داء مستقم من بعد طول نصير وتجلد
ورمت قيود معيشة ما عاشها في الناس غير مقتل ومقيد
لولا حظارى أن يفجعها الأمى ويؤدها صرف الحمام المعتلى
ويزيدها شجنا عل أشجانها لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى

ولترك هذه السيدة الوقور في مرقدها الأخير ، ولم تكن لحظات مع تلك السيدة الإنجليزية التي شاء لها القدر أن تعيش مع الشاعر بضعة أعوام والتي كان أثرها عميقا في السنوات الأخيرة من حياته .

ونحن نعلم أنهما تعارفا في أثناء زماتهما في كلية « اكستر » بمقاطعة « ديفونشير » بإنجلترا ، إذ أنس إليها في غربته ، للمائة أخلاقها ، وبعدما عن عجرة قومها ، وأنست إليه ، لحدته واهتمامه بموضوع دراسته وانتهت صداقتهما هذه بالزواج . . وعاد معها من إنجلترا واستقرا معا بالإسكتلندية وكان ثمره زواجهما طفلا صغيرا شديد التعلق بأبيه ، وقد انتهت حياة هذا الطفل بأن طوته أمواج المحيط مع مجموعة من رفاقه الأطفال الإنجليز ، على أثر ضرب غواصة ألمانية للسفينة التي كانت تقلهم إلى كندا .

ونعرف كذلك أن هذه السيدة سافرت إلى إنجلترا قبيل الحرب العالمية الثانية ولم يعد زوجها يسمع عنها بعد ذلك خبرا ، وأن هذين الحادئين أوهنا من صبره ، فلم تعد عزمته تتحمل من أعباء الحياة فوق ما تحمّلت ، وانتهى به بأسه ، إلى ما نعرف من نهايته المفجعة ، وقد عرفنا أن « فخرى أبو السعود » وزوجته الإنجليزية كانا مؤلفين اثنتا عشرين ، وأنها لم تكن تختلف معه في شيء يراه ؛ ويمكن أن نستنتج من القصة التي حدثنا عنها الدكتور زكي نجيب محمود (١) أنها كانت بمثابة ظل له ؛ تتبع الوجهة التي يتجهها أبا كانت ؛ حتى إنه لما حرم على نفسه اللحم وافقته على رأيه وأصبحت نباتية معه ؛ ومعنى ذلك أنها كانت — فيما اعتنق — بلا شخصية يمكن أن تتفاعل معه على قدم المساواة ؛ مثبته وجودها الفعلي ؛ ككائن حي له وجوده ؛ وأنها ليست ظلا باهتا ؛ واعتقد أن شعورها ببعيبتها المطلقة له كانت

(١) الدكتور زكي نجيب محمود في مقاله عن فخرى أبو السعود بسجلة الثقافة عدد

٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ .

سبباً في مله من هذه الحياة الرتيبة التي يعيشها ، وأظن أنها كانت أحد المصادر التي لونت شعره خلال هذه السنوات كلها بهذا اللون القاتم الكتيب ؛ وأعتقد كذلك أن هذا الشعور هو السبب الذي دفعه إلى أن يطلب من زوجته أن تبعد عنه ؛ وأن تعود إليه ؛ حتى يحس في هذا البعد والقرب بكيانها الذي ذاب فيه ؛ فلم يعد يشعر بوجودها ؛ ونحن نشير بذلك إلى قصيدته « البعاد » التي سبق لنا أن استشهدنا بأبيات منها (١) والتي نورد منها هنا بضعة أبيات أخرى ؛ تؤكد المعنى المقصود من هذه الإشارة :

لأحب اللقاء عبداً مقيماً مستمراً به تقضى السنين
ما ألد الهوى أمراً ووداعاً وكتاباً أدى التحايا أمينا
إن هذا البعاد يبعث في الأشواق حرى ويستجيش الحنين
وأحب الأيام عندي ما أرقب فيه لقاءك الميمونا
وتزيدني في البعاد جمالا ورواء وبهجة وفنونا
وتزيدني في الشاغل إيناسا وعطفاً كما أحب وليناسا

- ٤ -

وننتقل بعد ذلك إلى الشخصية النسائية الثالثة في حياة « فخرى أبو السعود » فرى أنها شخصية سيدة تكبره قليلا ؛ وأن وداً سابقا كان يربط بينهما ؛ وربما كان سفره إلى إنجلترا هو الذي حال بينهما ؛ وبين توثيق هذا الود ؛ ونحن نحاول التعرف على هذه الشخصية من خلال قصيلتين حفظتهما لنا مجلة الرسالة ؛ تروى الأولى منهما قصة لقاء حدث في سنة ١٩٣٥ ؛ ويبدو لنا « فخرى أبو السعود » من خلال قصيدته التي وصف بها هذا اللقاء والتي سماها « ذهب الشباب » (٢) أنه كان جافاً تغلب عليه صراخه ، وبتميز آخر أنه لم يكن محبا لبقا ؛ فهو هنا يلتق بها بعد فترة طويلة ؛ كان الزمن

(١) الرسالة ٤ أكتوبر ١٩٢٧ .

(٢) الرسالة ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥ .

خلالها ، قد أغار على جمالها ، فنالت قسوته منه ما نالت ، ثم تركها
ليقول لنا « فخرى أبو السعود » فيها :

ذهب الشباب وغاض ذلك الرنق	لم يبق إلا حسرة ونحرق
لم يبق إلا ذكر عهد زائل	إذ أنت أملح من يحب ويعشق
حال الجمال فلا قوام مرهف	يصبى النفوس ولا يحيا مشرق
ما أنت إلا الروض صوح بعد إذ	هو مشرق نضر الأزاهر مورق
ولقد يحاد الروض بعد جفافه	ويجد من أبراده ما يخلط
وأرى جمالك ليس يبعث ميتة	شمس تضيء ولا نعام يغدق
ولقد يدوق الزهر بعد ذبوله	وتظل منه راحة تنشق
ورأيت حسنك حين أدبر لم يدر	إلا قلبي يؤذى العيون ويوبق

ويعود في هذه القصيدة إلى الماضي يوم أن كان يتودد إليها من يتودد ،
فلا يجد غير دلال الصبا ، وشموس الحسن ، فيعرض للملك في شماعة
وسخرية ويقول :

وتبدل الطبع المحب ، لم يعد	دل يشوق ، ولا شمائل تعشق
ومضى شماس ، كان فيك ، سجية	واليوم ، فيك وداعة وترفق
واليوم فيك ، تلتطف ومودة	كم كان يخطبها المحب الشيق
سكنت نفوس كنت أنت هنامها	ولعلك اليوم المعنى الملق

ذلك هو الذى حدث في سنة ١٩٣٥ . فماذا كان بعد ذلك ؟

• • •

إن عامين مرا بعد هذا اللقاء ، كان لهما أعق الأثر في تكوين
نظرة « فخرى أبو السعود » إلى هذه السيدة ، عندما التقى بها مرة أخرى ،
ذاك لأن السأم من حياته الرتيبة ، كان قد تسرب إلى قلبه ، لقد جف
النبع الذى رواه يوما ما ، وأصبح في حاجة إلى نبع جديد .

وها هو ذا بعد عامين يلتقى بهذه الصديقة القديمة ، ولكنه كان قد تغير في هذه المرة فهو يتلقاها بصدر رحب ، وب عاطفة يتعاقى فيها الحزن والحب والشوق كذلك ، ويودع ذلك كله قصيدته « تليد من جمال » ، التي توشك أن تكون غزلا ساميا فيه جمال وروعة . وإنها ليتعاقى فيها التردد والتدليل ، والذكريات الجميلة ، كل ذلك في نسق من الشعر رحين ، فلذا لحظنا أنه نشرها بالرسالة يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وأنه نشر قصيدته « البعاد » التي وجهها إلى زوجته الإنجليزية والتي تميزت بروح الملل في الرسالة يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ أدر كنا مدى التغير الذي حدث له والذي من أثره كانت هذه القصيدة التي نورد ما كلها هنا إذ أنها أقصر على التعبير ، في هذا المجال . . يقول « فخرى أبو السعود » في قصيدته « تليد من جمال » :

رائع والله هذا الوجه حال القسما
معجب الحسن وسيم رغم صيف السنوات
رغم شيب قد تمشى في المعاني والسمات
لم يزل حسنك رغم الشيب يسبي المهجات
يأمر الأب وينسى كل عتراء مهابة
غضة الجسم تواف كتنضير الزهرات
غرة القلب لعبو خطرت كالنسمات
رائع حسنك من بين وجوه الغايات
ووضوء يجلب الأعين دون الأخرجات
رائع كالشفق الغارب يذكى الالهفات
ينهى الناظر عن ماضى الخلى والحسنات
وتليد من جمال كان ممنوع اللدات
كان شغل العابديه وعناء العاذلات

لم يزل ينبؤ عنه عذب تلك البسمات
وأرى أطيافه في حسن تلك اللحظات
إن يكن قد ودع الطيش وسحر اللفتات
وغرير الضحكات وطروب الثمرات
فقد اعتاض بحلم ووقار وأناة
وبأشتات التجارب وجم الذكريات
قد جنى حلوا من العيش ومر الحادثات
فهو يسبي اليوم بالحسن ويسبي بالصفات
وأحاديث عذاب كشمى الثمرات (١)

- ٥ -

وئمة ملامح أخرى في شعره نستشف منها تقديره للحسن الأنثوي ،
وتبين فيها بوضوح إعجابه ببعض مواكب الفنة التي تشرق في مجال
الإسكندرية وبخاصة في مهرجانات الصيف التي تتألق على شاطئها البهيج .
ولقد تشعر أحيانا ، بنغمة حزن ، أو حرقة حرمان يختم بها بعض
أغانيه المنظومة في هذا الشأن ، والتي قد يكون مصدرها ذلك السأم
الذي أشرنا إليه فيما سبق . .

على أننا بدلا من أن نستطرد في تحليل تلك الظاهرة ، نرى أن نختم
هذا الفصل بهذه الأبيات التي يتوجه الشاعر بالخطاب فيها إلى البحر ،
ثم يفصح فيها عن ذات نفسه وما يعتمل فيها من أصداء وخواطر ، فقد

(١) مما يجدر بنا الإشارة إليه أن هذه القصيدة أيضا منظومة على نسق قصيدة
لميد الرحمن شكرى الذي كان وقتئذ ناظرا للمدرسة المباسية الثانوية وكان فغرى
'بو السمود في هذه الفترة مدرسا بهذه المدرسة ويقول شكرى في مطلع قصيدته :

ياؤوه البسمات	وحى الوجفات
ليت لي مرك انقلابا	كالتلافيف النجمات
أنت في الدهر اجسام	كاجسام الزهرات .. الخ

يخرج القارىء منها بمضمون آخر غير ما كنا نهدف إليه .. فلأن الذى نبديه هنا ، هو مجرد استقراء قد تخطىء فيه أو نصيب .

يقول « فخرى أبو السعود » فى قصيدته « الحول قد حال » وقد نشرها بالرسالة العدد ١٥٥ فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٦ : والخطاب هنا موجه إلى البحر :

جمعت عندك آى الحسن قاطبة	وطبت يا بحر أسحارا وأصالا
إن كنت لم تجل حورا فيك عارية	كما روى شاعر قدما وه اختالا
فكم على جانبيك اليوم من فتن	لم تحو أسطورة منهن أمثالا
غيد بلجك أو بالرمل سارحة	رفلن فى الحسن أعطافا وأوصالا
الطرف منهن مثر مسرف بذخ	والقلب يندب إعصارا وإقلالا
سبحان من أرسل الأحداق فى طلق	وحمل القلب فى الأضلاع أغلالا
يا من عرضتم فغادرتم جوانحتنا	حرى ، وقد نال منها الشوق أنالا
بالرغم منى أن تمضوا على عجل	ولا يكون وداد بيننا طالا

الشاعر الوصف

الشاعر الوصاف

- ١ -

يقول الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » فى كتابه « أعلام من الشرق والغرب » عن زميله الشاعر « فخرى أبوالسعود » إنه كان رساما وصافا شاعرا (١) ، والأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى هذا يمثل الكثيرين من الذين قرءوا قصائد « فخرى أبوالسعود » ثم انتهوا إلى هذا الرأى ، فقد كان الشاعر رساما مصورا فى وصفه حقا ، يخيل إليك إذا أنت قرأت قصيدة من شعره الوصفى ، أنك أمام صورة حية ، تحس وتشعر ، وتحرك ، حتى ولو كانت هذه الصورة لجناد لا يحس ، ولا يشعر ، ولا يتحرك .

قرأت مرة قصيدة له يصف فيها تمثالا لأعمى ، فلم أشك فى أنه يصف الأعمى نفسه وليس التمثال ، بل خيل إلى لدقة الوصف وعمق تأثيره فى نفس سامعه أنى أرى ذلك الأعمى وقد

بسط الكف وثنى بالقدم	وابتغى السعى فأعيا فوجم
وانحنى معتمدا عكازة	علها تهديه فى تلك الظلم
مرهفا أذنيه لو أسعدتا	فاغرا فاه وهل يهديه فم
مجهدا عينيه من حملقة	فى ظلام مترام مدلهم
عبثا يمين فى تلك الدجى	وهو يلدى أنها لا تحترم
جهدت سبأؤه فى هديه	وتغشتها تباريح الألم
لم يسر من خطوة فى أثرها	خطوة إلا تأنى واستجم

(١) نشر دار الفكر العربى صفحة ١٣٤ وما بعدها .

عمره ليل طويل ماله كوكب يبدو ولا صبح يعم
ليس يدرى الصبح ألا خبرا قد روه أو حديثا قد زعم (١)
فنحن هنا نشارك هذا الأعمى ، لا فى مظهره الخارجى فجب ،
وإنما فى أحاسيسه الداخلية أيضا ، ثم لا نملك فى نهاية المقطوعة ،
إلا أن نعطف عليه ، وأن نقدر مأساته ، وفى رأى أن الشاعر وفق
فى نقل هذه الصورة النفسية والخلقية معا إلينا ، إلى حد كبير .

- ٢ -

ومع أن « فخرى أبو السعود » يرى فى إحدى مقالاته النقدية ،
أن خير الوصف ليس هو الذى يحيط بكل حقائق الموصوف ، ويحصي
كل دقائق أجزائه ، كما تفعل الصورة الشمسية ، وإنما خيرة ما
أظهر المهم الرابع من أجزاء الصورة وأبان عن أثرها فى النفس (٢)
إلا أننا نلاحظ أنه فى أغلب قصائده الوصفية يميل إلى العرض الدقيق
لأجزاء الصورة وإبراز أغلب هذه الأجزاء وإن لم يفته محاولة ترك الأثر النفسى
لها عند الملتقى ، نلمح هذا على سبيل المثال فى قصيدة « السكك الحديدية
تحت الأرض » (٣) التى تكون وصفا تفصيليا لمشهد من المشاهد التى
رآها فى لندن . وكانت غريبة عليه ومن ثم تركت انطباعاتها واضحة فى دمه
القصيدة التى نختار منها هذه الأبيات :

جرت مفاوزها فى كل ناحية فلم تزل تتلاقى ثم تنشعب
ظلمات جون كأحجار الأرقام قد ملوا لها سببا فى إثره سبب
تجرى بها مركبات ما يزال لها تحت الأرض والدياجى مسلك عجب
سرى بها دافع للكهرباء فلم تقلد دخانا ولم يزفر بها لهب

(١) قصيدة شمال الأعمى ص ٤٠ من الطبعة عدد ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٩ المبد

(٢) الرسالة مقال نشر فى ٣ مايو ١٩٣٧ .

(٣) الرسالة فى ٢٩ يناير ١٩٣٤ المبد ٣٠ .

شثيمة الوجه إذ تنسل هاربة مثل الثعابين في أنيابها العطب
ترى على سفر طول المدى فإذا حواتها صفرت سالت بها القضب
إن يبتغوا انطلقت أو يبتغوا وقت لم تشك أينما ولم يعلق بها لغب
يرمى بها تفق حاج إلى تفق وينطوى مرب من يعله مرب
كأنما هي سحابة بها كلب أو أنها طالب قد شفه الطلب
تظل تقطع أنحاء المدينة لم يشعر على الأرض من جاءوا ومن ذهبوا
وتتفنى في الدياجي غير حافلة بمن مشوا في وكاب الشمس أوركبوا
وكذلك صنع في قصيدة « عطل » التي صور فيها مشهدا من مشاهد
الصراع النفسي عند « عطل » حينما أخذت تعصف به الغيرة والشكوك التي
أشعلتها غيمة « باجو » ضد زوجه « ديلمونه » وقد أوردنا هذه القصيدة
كاملة ضمن ملحق الاختارات نظرا لتتابع الوقائع النفسية ولتلاحم أجزائها
تلاحما يصعب معه بتر جزء من أجزائها .

- ٣ -

كذلك كان للطبيعة مجالها ، الممتدة مراميها في شعر « فخرى أبو السعود »
بل إن احتفاءه بها لا يكاد يدانيه احتفاء آخر بذله الشاعر لأي لون من
ألوان الشعر التي عالجها ، فإن الطبيعة عنده هي « ألف الشاعر الحميم وتوأم
روحه ، ومرتع فكره ، ومتاع بصره ، ومهبط وحيه ، ومهاد متعاته
وذكرياته ، إلى ظلالها يسكن ، وبين محاسنها يهيم وعندنا ينفض أو شاب
العيش ، ويستريح فكره الذي أضناه التعب » (١) .

وهو يعنى في المقال نفسه - على الشعراء العرب ، أنه قلما جاءت أوصاف
محاسن الطبيعة مقصودة لذاتها مستقلة بنفسها في قصائدهم ، وإنما تأتي في
الأغلب عرضا في ثنايا القصيدة . .

وهو يرى ، أن أغلب شعر الطبيعة في العربية - على قلته - تنقصه

(١) الرسالة مقال عن الطبيعة لشعر فخرى على ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ .

حرارة الشغف بها ، وإدمان التأمل في محاسنها ، ومحاولة النفاذ إلى معانيها ،
وهو يعمد إلى المقارنة بين قول « أبي نواس » يصف بعض الزهر :

عيون من لجين شاخصات بأبصار هي النعب السيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
وقول أبي تمام :

صبيغ الندى لولا بدائع لطفه ما عاد أخضر بعد إذ هو أصفر
وبين قول الشاعر الإنجليزي « تينسون » في زهرة ضئيلة :

« أيتها الزهرة النامية بين شقوق الجدار

ها قد انتزعتك أنامل

وها أنت كلك عمولة في كفى

بيد أنى لو استطعت استكناه شرك

لعرفت سر الله والإنسان جميعاً .. »

ويخرج « فخرى أبو السعود » من هذه المقارنة بأن في موقف
« أبي نواس » و « أبي تمام » سناجة بالقول ، والتواء في استرسال
الفكر ، وهرب من مواصلة التأمل والوصف ، ذلك لأن الشاعر يرى
أن قدرة الخالق جل وعلا أمر لاشك فيه ، وأن الموقف موقف
استمتاع بالجمال ، وتصوير له وأنه ليس موقف وعظ وخشوع ،
ولهذا فهو يرى أن في موقف « تينسون » مثالا للشاعر الذي
يتأمل ويفكر ويتوق إلى المعرفة .

على أن الشاعر وهو يعرض أفكاره هذه لا يرمى اللغة العربية
بالتصور بل يرى أنها ، « حافلة بالأسماء والأوصاف لشتى مظاهر الطبيعة
وأثارها ، وحالاتها ، وأوقاتها ، غنية بكل ما يحتاج إليه الأديب التقدير ،
ليثقل على القرطاس أى المناظر الطبيعية شاء . » وفي هذا العرض

لمدى اتساع لغتنا العربية ، وكفايتها يبرز لنا الشاعر مدى التفاوت
الذى بين مقدرة اللغة العربية واستعدادها ، وبين تقصير أدبائها عن
إدراك الغاية المنشودة .

- ٤ -

ونعلم من قراءتنا للفصل الذى كتبه الأستاذ محمد عبد الغنى
حسن ، فى كتابه السالف الذكر عن الشاعر « فخرى أبو السعود »
أنهما أقاما معا فى مقاطعة من أجمل مقاطعات « إنجلترا » اسمها
« ديفونشير » وفى مدينة من أقدم مدنها اسمها « اكستر » على ضفتى نهر
« اكس » القصير الجميل .

ونعلم كذلك ، أن للرحلة أثراً كبيراً فى إثراء الشاعر ، ومده
بكثير من الصور التى يحتاج إليها فى إخصاب خياله ، وأن للشعور
بالغربة أثراً حاداً فى تعميق هذه الصور فى وجدانه ، وزيادة
إحساسه بها .

ومن هنا نرى أن « فخرى أبو السعود » قد وفق إلى حد كبير
فى نقل هذه المشاهد التى رآها فى الطبيعة الإنجليزية ، واستمتع بمباينتها
للمناظر الطبيعية المصرية التى ألفها ، وثرى فى ظلها ، وكان لهذه
الرؤية العارضة - فى نفس الشاعر - انطباعها الذى لا يمكن أن تتركه
المعايشة الدائمة للمنظر الثابت ، حتى وإن كان أكثر فتنة وأغنى جمالا .

ذلك ما نحسه ونحن نقرأ له قصيدته السحاب (١) مثلاً والى منها قوله
فى هذا السحاب الإنجليزى :

تسمى جنود البرد تحت جناحه والريح والإعصار حول ركابه
حيث انتحى ، أرخى مسائح وجنة وتخلل الآفاق جيون حجابيه
وأثار فى النفس القنوط وأشفت من ثقل خطوته ومن ألبابه

(١) عدد ٥٦ من الرسالة فى ٣٠ يوليو ١٩٣٤ .

فلذا سرى برد القلال مخالطاً أجزاءه وانسل في أعصابه
أوهى عراه وقت في أوصاله فانصب ملء السهل في تسكابه
في كل قاب ذاكن أو غيضة غدقت غواديه وأفرغ ما به
وبكل قاع ممرع ويفاعة توقيع وكاف الندى صبابه
وبكل منحدر تدفق مشرع ينساب في أذبابه وحبابه
حتى إذا أفنى غزير شثونه حمياً وأنفذ كل ما بوطابه
ولى وغادر بعده أسلابه تزهو بقاع الأرض في أسلابه

وقد وفق الشاعر أيضاً في هذه القصيدة ، باختياره للألفاظ الوعرة
القاسية ، التي تشبه هي الأخرى وعورة الشتاء وقسوته في تلك البلاد
الثابتة ، ولقد يجمل لمن يقرأ هذه القصيدة ، من غير أن يعرف اسم
صاحبها ، أنها لشاعر عربي زار البلاد الباردة في عصر من عصور
العربية المتقدمة نظراً لكلماتها المعجمية وطريقة تناولها .

- ٥ -

ومن القصائد التي اندمج فيها الشاعر بالطبيعة حتى أصبحت العلاقة
بينهما واضحة بما فيها من تعاطف وود لا يحتاجان إلى شرح كثير ،
قصيدته « ثمالة كأس » (١) التي قالها قبيل عودته ، وفيها يصف بكوره
ليلتقى بالطبيعة في صحوتها ويمتع عينه بأبهج صورها ، ومنها :

.. وكم مشرق بادرته في طلوعه ومازال ماء المزن في الفصن يضرب
وقد غط أهلوها وأقبلت مثل من له عند قرص الشمس في الأفق مأرب
ينقطني غصن بمنهل قطره ويعبق من حولى نسيم ويلعب
حتى إذا أوشك أن يصل إلى نهاية القصيدة ، أحسست بتنبؤة
عميقة حزينة يرسلها جرى دافئة . فقد كاد القراق يحين ، وأذنت

(١) الرسالة العدد ٥٨ في ١٣ أغسطس ١٩٣٤ .

شمسه هناك بالغيب ، ولم يبق في الكأس إلا الثمالة فلا يملك إلا أن
يهتف فيقول :

صحابي : هاتيك الشعاب : ألفتني ويعرفن خطوى حيثما رحت أدا ب
لقد آذنت بالبين صحبتنا سوى ثمالة كأس عن قليل ستنضب
أيا كرها صفوا ، وأعلم موقنا بأن ثمال الكأس أشهى وأطيب
وهناك قصائد أخرى عديدة (١) يضيئ بنا المقام عن مردها جميعا
ولكننا نكتفي منها بقصيدة « الحريف » وقصيدته « أهلى الأرض
التيين » أوردناها كاملتين بالمختارات كدلالة واضحة على موهبته وبراعته
في هذا المجال :

- ٦ -

ولقد تابع الشاعر سيره في هذا الطريق بعد عودته إلى وطنه وإقامته
بمدينة الإسكندر الأكبر وهي مدينة مشهورة بأنها « عروس الماء »
ومعنى هذا أن مناظرها الجميلة تكاد تنحصر في وصف صلتها بالبحر
وبمقار مآفاته من هذا المورد من جمال وإنه لمورد جد كريم . .

ولقد كان عمل الشاعر في الفترة الأولى من إقامته بالمدرسة العباسية
الاسكندرية (٢) ، وكانت أيامه تقع على ربوة عالية تشرف على
عمرم بك ولا يكاد يعلو عليها بناء آخر في ذلك العهد حتى شاطئ
البحر ، ثم انتقل في الفترة الثانية ، إلى مدرسة الرمل الاسكندرية وتقع
في منطقة هادئة ذات قصور وحلائق ، وقد اتخذ لنفسه في الفترتين

(١) يضيئ هذه القصائد مترجم كقصيدته الطبيعية التي ترجمها نظما للشاعر
« ورد زورث » .

(٢) مكانها الآن كلية العلوم . وما يذكر أن الشاعر وهو يقوم بالتدريس في هذه
المدرسة تسهّد بالرعاية والتوجيه بعض الطلاب الذين كانوا يظنون الشعر يؤمّنهم والذين
اصبحوا فيما بعد من شعراء الاسكندرية المرموقين نذكر منهم الأستاذ محمد محمود زيتون
الذي قدم لغزى أبو السعود ديوانه « جرس المدرسة » بكلمة مشجعة وكذلك الأستاذ
ادوار حنا صمد الذي قدم له كذلك مجموعته القصصية الغسرية التي نشرها في هذه
الفترة .

دارا أنيقة ، ذات حديقة صغيرة جميلة في حى الرمل قريبا من البحر
الذى كان يتعشقه ، ولذلك اتخذ جارا مأنوسا ، يفزع إليه إن لم به
طائف من شجن ، ويناجيه بما تضيق به نفسه ، ويتعمق صوره ،
ثم يسجلها شعرا تهفو إليه الأسماع . والقلوب .

يتأمله حاليا بالغيد من رواده فيقول :

حيث يا بحر إن الحول قد حالا فاستقبل اليوم أمرا با وأرسلا
تسعى إليك من البلدان ظامئة إلى الجمال على شطيك قد جالا (١)
ثم يتطرق إلى المناظر الطبيعية التى يسخر بها البحر على عشاقه
بالإسكندرية فيقول :

ومزيد فيك أشهى للتواظر من حباب كأس علافى الكأس جريالا
وناعس الرمل قد مرت به حقب عداه ، وسيطوى بعد أجيالا
وهائج اللج يغزو الشط مجتهدا لا يأتلى عنه إخبارا وإقبالا
دوما يحاول أمرا ليس يبلغه وما يزال لما يبغيه محتالا
إذا تكسر من صخر إلى حجر شملت في كل صوب منه شلالا (٢)

ثم يعود فيناجيه ، وهو يبحث لاعمح الغيد على رماله ، وإنما
هو على الرغم من ذلك ثرى أكبر الثراء ، بالبهجة اللهية المتألقة
في أشعة الشمس عند شروقها ، غنى أوفر الغنى ، بالألوان الرائعة التى
تضفيها عليه الشمس عند الغروب . . فيقول :

البحر فتان وإن هو لم ينل ربا ولم يطلع جوارى حينما
كم طالعته الشمس ثم أجنها سرا وراء عبابه مكنونا
لنى شهدت الشمس عند شروقها من خلف بلحته أشع جيينا
ورأيت مغربها به .. وضياؤها ملء الجوانح لطفه وحيننا

(١) قصيدة الحول قد حالا مجلة الرسالة ٢٢ يونيو ١٩٣٦ العدد ١٥٥ ص ١٠٢٤ .

(٢) قصيدة « جرة محبودة » مجلة الرسالة العدد ٨١ فى ٢٦ يناير ١٩٣٥ ص ١٠٦ .

يهوى خضيباً شاعها من أفتها . وينوب في بلخ به يزفوننا .
ثم يعلن عن جبرته لهذا البحر ، وعن صحبته معه ، وعن
رضاه عن هذه الصحبة ، وتلك الحيرة ، وأنسه بها ، إذا
مالأحس بالملل فيقول :

هاتيك آيات الجمال تخلفتها صبحي ونعم مدى الزمان خدينا
وتخلفت هذا البحر جاراً لي إذا ما عفت جاراً أو مللت قرينا
وحملت جبرته وثورة بلخ دوما تداول مسمعي رثينا
أضنى على الثغر الجميل رواءه وكسا حياة القاطنين فتونا

- ٧ -

الحق أن «فخرى أبو السعود» قد أوشك أن يبلغ درجة الكمال
في مجال الشعر الوصفي ولم يكن شعره فيه مجرد (هواية) يترضاها
ويستجيب إليها ، وإنما كان ، بالنسبة إليه ، هدفاً مقصوداً لذاته ،
يملك في سبيله كل طاقته ، بل إنه لا يرى نفسه أهلاً للحياة إلا إذا
أكمل رسالته الوصفية هذه .

ولنتمع إليه في هذه الأبيات من قصيدته « الشعر » (١) فهي
فيما أحسب تحمل إلينا الدليل ، أكبر الدليل :

فلا عشت إلا ناظراً متملياً أهلب شعراً يعرض الكون حالياً
يصور حسن الأفق بالشمس راوياً ويرسم سحر البدر يغشى الدياجياً
وإقدام طود حضها الموج غاسلاً وهامات دضب لفها الغيم كاسياً
ويحكى اتلاف النور والظل والشئى ويحكى خفوق الغصن بالغيث نادياً
ويحكى خريز النهر يجرى مسلسلاً وألجان طيربات في الغصن شادياً

(١) القصيدة كاملة بالملحق .

الفصل الثالث

مخارات من شعر فخرى أبو السعود

من القصائد الوطنية التي بعث بها من إنجلترا

- ١ -

يوم التل

كتب الأستاذ فخرى أبو السعود إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات
صاحب مجلة الرسالة يقول :

« تحية طيبة وبعد ذإني مرسل إليكم قصيدة نظمها لمناسبة ذكرى
الاحتلال الإنجليزي ، والذي يصدر عدد الرسالة القادم ، في مثل
ابتدائه بالقاهرة - ١٥ - سبتمبر ، وقد اعتاد الكثيرون من المصريين
الاستحياء للذكرى يوم التل الكبير ، لأن الهزيمة أصابتنا فيه ،
والأسف للذكرى الثورة العرابية ، لأن الاحتلال الإنجليزي أحبطها حتى
قال شوقي بك في بعض ما قال :

ولو أن يوم التل يوم صالح لحماسة لجعلته البادي

وقد نظمت قصيدتي قصد القضاء على توهم العار في هذه الذكريات
ولإبراز مواضع الفخر في تلك الحوادث والوقائع . . وأقل ما في تلك
الذكريات من مواضع الفخر ، أن الثورة كانت أول مظهر صحيح
للقومية المصرية التي تنهت في العصر الحديث ، وأن موقعة التل كانت
أول معركة قام فيها جيش مصرى صميم بالدفاع عن أرض مصر ،
وأن المصريين فيها كانوا ينازلون أكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ
وأن الانجليز لم يطمثوا إلى منازل المصريين ، ولم يحرزوا عليهم النصر
إلا بعد أن استعانوا بكل حيلة . . . »

هنا وقد نشرت الرسالة القصيدة في العدد السابع عشر الصادر

يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣٣ صفحة ٢٨ .

أعد ذكر ماضى النيل للجيل منشدا
وكم مفخر للنيل باق مخلدا
تثبه بماضينا القديم بتفاجرا
ولم أر يوم التل عارا وسية
أنخل أن قمنا نلود عن الحمى
تدفق من عبر المحيط مهددا
وقالوا شياة السيث دون عدونا
إباء تلبد المجد قر له رضى
وما شهدوا من قبلها بعد عهدهم
فلما رأى العادى سنوح فريسة
ترامت على الشجر الأمين رجومه
أثار عليهم مائج البحر مرغيا
تهلوى له الأقاوس أيان يرتعى
تمازج لون النار والدم عندها
ولم يألها حتى كساها غلاثلا
ولم ينه في الشرق والغرب ضجة
مقئ نالها : فلتنب الأرض حسرة
رأت أم في الشرق والغرب أمة
تعاقب أن قامت تحطم قيدها
وتواد حرياتها وحقوقها
ولما أحال الشجر جحرا مخربا
فأبصر من دون السيل بواسلا
تصدى لإهم كرة بعد كرة

فما أعذب المجد الأثيل مرددا
إذا ذكر الأقوام فخرنا مخلدا
وأجرى بأن يروى الحديث فيحمدا
ولم أره إلا أعز ممجدا
ويسحب أذبال الفخار من اعتدى
فما حفات آبؤنا من تهددا
وإن يك عرض البر والبحرا يدا
وقر له عظم القراعين ملحدا
بى مصر جمعا ينهلون إلى العدى
أقام زمانا دونها مترصدا
تناصب عزلا في المدينة قعدا
وصب عليهم مارج النار مرعدا
وتنتثر الأشلاء في حيث سددا
وفار لهيب النار بالدم مزيدا
من النار حمرا في السموات مصعدا
لأمر أقام الأرض هولا وأقعدا
على العدل ، ولتبك السماء تلعدا
يجار عليها جهرة وتمعدا
وتبعث تاريخا قديما وسوددا
ليحكم الاستعمار فيها معربدا
تقدم يبغي مستزادا ومهتدى
جنيا على هام المسالك رقدا
فأصلوه نيرانا فأب مبددا

فإما من رأى أبناء مصر إذا انبروا . إلى غول الاستعمار صفحا مجردا
 على حين ماجت خيله وسفينته ولم يبصروا في الشرق والغرب مسندا
 يساقونه كأس الحمام وأهله بمصر كرام في مراح ومقتدى
 فلما رأى وعمر الطريق ولم يجد كما ظن نهجا . حيث سار معبدا
 تسلل من شرق البلاد محاذرا هزيمة في الغرب أن تتجددا (١)
 ومائل إلى الأعراب واختل طبعهم يريد لدى القوم اللصوص مؤيدا
 جرى ثبره فيهم وسالت سفينته تمزق عهدا للقناة مؤكدا
 وساق على الأحرار بالتل سفلة أتى بهم من كل فج وأعيدا
 خميس يسير المار في خطواته وتبعه الأوباء في حيثما اهتدى (٢)
 كفته خيانات اللصام علوه وما بث من جند الفساد وأرصدا
 ولولا جنود الأثم تدفع دونه لما مد رجلا للقتال ولا يدا
 كذلك كانت في السياسة حاله وفي الحرب لم يبلغ به النيل مقصدا
 وما نال إلا بالجرمة مغنا ولاسل إلا في الظلام مهندا
 وأقبل يزهو بانتصار وانه لحزى له يبقى على الدهر سرمد
 خصيمك اسنى في الهزيمة صفقة وأكرم في ظلم الحوادث محمدا
 وزاد عروس الشرق في تاج ملكه يتيه بها فخرا ويخطر سيدها
 رويدك لا محمد مقامك بيننا ولا تحسبه ما أقمت مهندا
 كما جث في داج من النحس قائم مترجع في داج بغشيك أسودا
 وأنحى على الأحرار يسكب مقته وقد كاد يسقيهم بجهله الردى
 ومن أحرق العنراء يوما تشفيا فليس بمسئئ مسنا وأمردا (٣)

(١) هزم الانجليز سنة ١٨٠٧ من الغرب أى معركة رشيد ولهذا اراد ان يأتى حته المرة
 من الشرق حتى يتفادى الهزيمة السابقة .
 (٢) الخميس الجيش وقد أصيب مصر بالكوليرا عقب دخول الجيش الانجليزى .
 (٣) يريد بالصلواء جان دارك التى احرقها الانجليز .

فأرهم بعضاً في السجون مكبلاً
سبلاً وريحان أبوتنا على
سلام على من قد تصلوا بناها
سلام على من مات في حومة الوغى
سلام على قيل (١) تولى زمامها
أصاب بها نجماً فلما كبا بها
وزيد عن الأوطان عشرين حجة
جريزته أن رام مصر عزيزة
ورام لها من طغمة الترك معتقاً
لنحيا كما نحيا الشعوب طليقة
ستذكره مصر الفتية ما ابتفت
عسى ذكرنا رغم الهزيمة أحداً

وفرق بعضاً في البيلاد مشرداً
ثراكم سلباً لا يزال مجدداً
وخاضوا لظاها فائراً متوقداً
ومن مات في قاص من الأرض مبعداً
أعف الوري قصداً وأتقاهم يداً
وأدركه منها العثار تجلسداً
يبيت على شوق إليها مسجداً
وشاء لها أن تستقل وتسجداً
وبعداً لعهد الترك أشأم أنكداً
بعصر يعاف العبد فيه التقيداً
لدى الحق عهداً أولدى العهد موعداً
سيبعث فينا للقيمة .. أحداً (٢)

(١) قيل مفرد أقيال - السيد القائد المطاع في قومه ويقصد به أحمد عرابي .
(٢) أحمد الأولى = أحمد عرابي وأحمد الثاني = الزعيم المنتظر وقد تمثل في جمال
عبد الناصر .

بنى مصر

قصيدة وطنية نظمها وهو مقيم بانجلترا وبعث بها
إلى مجلة الرسالة فنشرت في العدد ٢٨ الصادر
في ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ ص ١٠٤ .

إلام تغيب الشمس عنا وتطلع
رضينا بنقص الميث والذل حوله
نهم بهزل لانهم بغيره
ونحجم عن أخطارها وصعابها
نسير على رسل والمصر حولنا
أساغ بنو الشرق الحياة ذليلة
هم قادة الدنيا ونحن وراهم
نذل ونستعمل بمخترعاتهم
ونرغل في أعطافها من حضارة
وكم تاله منا بثوب منمق
لم حاضره عال وماض مؤثـل
إذا ذكروا أوطانهم فخرُوا بها
يطولون بالجاه العزيز تفاخروا
ونشخذ من آباتنا وجدودنا
هم دوننا أهل الفخار ولم يكن
تيسه بتاريخ لم وآثر

وتلعب في ظل الحياة ونرتع
وما اللذ إلا حظ من بات يقنع
ونهرب من جد الحياة وتقزع
وتنبها لذاتها والتمتع
مواكب في طريق العلا تدفع
وعيش بنى الغرب العلا والترفع
فضول وأذيال نجر وتتبع
ولا كاشف منا ولا ثم مبدع
وما نحن نبينا ولا نحن نصنع
وأحرى به منه الأديم المرقع
وسعى إلى مستقبل المجد أروع
ويا حبلى فخرنا فخرنا بمنع
ونطرق من ذل الأسار ونخضع
فخارا على أعقابهم ليس يخلع
علوآب في حطة الولد يشفع
قيام على الأيام لا تنزعزع

وما هي ما لم نحى إلا صحائف
وفيم تباهينا بعز ورفعة
تبرأ ماضى المجد منه ولو درى
وريع الفراعين العظام وأجفلوا
رأوا أمة تمشى وراء زمانها
وتقع من حظ الحياة بدونها
وأوغل فيها الأجنبي نبويه
وما لم خيل بمصر ، وراية
كأنى أصفى من علام إلى صدى
يقول : بنى مصر الحياة أو الردى
وليس حياة الشعب إلا سيادة
وليس الردى إلا حياة مهينة
أبرضخ شعب النيل لاغير راضيا
هلموا إلى جد الحياة ونفضوا
فما الأمر لو تدرون إلا عزيمة
تعاف ذلول العيش قد لان ملمسا
وأنى سلككم فاجعلوا مصر قبله
شريككم فى سرهم وجهاركم
وولوا على الأعمال لا القول همكم
وإن فاتكم منها الجنة ففى غد

بوال وأطلال خوال وأريج
وحاضرنا قفر من العز بلقع
لطاشه «خوفه» وأدخل «خفر»
وما لم هذا التراث المضيع
وقد عرفوها فى الطليعة تطلع
وقد تركوها فى النرا تربع
وقد عهدوها النجم أو هى أمنع
على راية النيل المقداة ترفع
يشق القرون الداجيات فيسمع
وما لكم من عون هذين مشرع
ترد طماع الطامعين وتردع
يقربها الشعب الدليل المضضع
بما بات بأباه من الزنج أوكع
بقية هذا النوم فالعمر مسرع
تصارع شدات الحياة فتصرع
وتضرب فى وعر الحياة وتفرع
وتحول علاها الملتقى والتجمع
وحين تغيب الشمس عنكم وتطلع
فما القول بالجدى ولا الزعم ينفع
سترهم للجبل الحديد وتوشع

حصن طارق

نشرها بالرسالة : العدد ٦٧ في ١٥ أكتوبر ١٩٣٤ ص ١٧٠٨
نظمها عند مشاهدته للجيل في طريق عودته الى الوطن

أقام على شط الجزيرة مفردا	ورانت عليه وحشة وسكون
على الصخرة السماء يصخب دونه	من اليم لج زانخ ومتون
مغب بجيش الشرق والغرب حوله	صموت على كر العصور مبين
به صدقة عما يرى في زمانه	وفيه الى ماض الزمان حين
تغيرت الدنيا وباد قبيله	وغيره دهر مضى وقرون
وقطب لما أنكر العصر حوله	وسارت بما لا يشتميه شئون
وأنكر خيلا حوله وأعاجما	تقرلم تلك الربا وتدين
تعطل من بعد اعتصام ومنعة	أسير بأيدي الغالبيين رهين
وكان يصون القوم فارتد أعزلا	وأصبح حتى النفس . ليس يصون
إذا لم تكن همت قوم حصونهم	تداعت رواسي دونهم وحصون

• • •

حوت من تلاد المجد صخرة طارق	على الدهر مالا يحتويه رقين
تعالت بهما الله أكبر مرة	فمادت سهول دونها وحزون
وسالت شباب بالصوارم والقنا	وأحرق خلف الفاتحين سفين
وقامت بأطراف الجزيرة دولة	وأزهر عرفان وأشرق دين
جلا أمس عنها آلهما وينوهم	على الصفة الأخرى الغداة قطين

فمن لى بمن ينهى الجلود بأننا وقد عز عبدان الجلود ، نهون
وأنا إذا أعتمتا رسوم علائهم تناهبت القلب الحسير شجون

* * *

نخشت وعادتي لدى حصن طارق همومي وابتلت لديه جفون
لشعب يسبح الذل من بعد ما سما له فى الورى ملك أشم مكين

من وصف الطبيعة في انجلترا

- ٤ -

في التحريف

احدى قصائده في وصف الطبيعة الانجليزية نظمها وبعت
بها الى مجلة الرسالة وهو طقيم باكستر - انجلترا ونشرتها
الرسالة في العدد ١٨ الصادر في اول اكتوبر سنة ١٩٣٣

كل شئ في الكون ران وقرا	وسرى في جوانح النفس سحرا
أسفر الجوى وانجلت صفحة الأفق	وقاحت بناكب الأرض بشرا
في ربوع يطول عمر شتاها	إذ يوافي ويقصر الزهر عمرا
نحمد الشمس يوم تطلع فيها	بضياء ونحمد الله عشرا
رف فيها التحريف حسنا وطيبا	فتسامى على الريح وأزرى
تفضت يومها الحياة وقامت	بعد طول الحجاب ترفع سترا
أبرزت من جمالها وحلاها	كل سر فما تحكم سرا
ذهبت تشر الجمال فلم تستن	في المساء أو على الأرض شبرا
نثرته بلا نظام فأرضى الفن	فوضى وأعجب العين نثرا
أودعت سحرها هواء وحصباء	وماء يسرى وعشبا وصخرا
يسرح الطرف حيث شاء فمسا	يسرح إلا من فتنة صوب أخرى
مزج حسن ورقة وبهاء	ألفته لونا وضربا وعطرا
هو في المئين ما أرق وأنده	وفي الصلبر ما ألد وأطرى
ترتوى الروح منه نهلا وعلا	فهو نشوى إذا تنقل ، سكرى
كست الأرض خضرة وتغشت	ربوة ربوة وغورا فغورا

فزكا الثبت في قلاع وقيعان
 راق منها ما قد تهادى على
 وذكاء وسط الفضاء تواری
 ثم تبلو فتعمر الكون ليناسا
 في سماء نقية تأخذ العين
 معرض النور سرت فيه الهوى
 تتملى بدائع السكون أو تنظم
 عند نهر عذب التسلسل ما
 حظه العشب كاسيا ضفتيه
 أرسل العين نجملى الحسن صفوا
 فهى في مسرح الطبيعة جذل
 ورفيقى في السير سفر بكفى
 من تهادى سفر الطبيعة مبسوطا

توالى في الأفق طيبا ونشرا
 الأرض ندیا وما تشامخ كبرا
 خلف غم يمر في الجو مرا
 إذا الفيم من سناها تفسرى
 اغترقا وتضع العين بشرا
 مطلقا في الخيال نفسى حبرى
 في صفحة الخواطر شعرا
 تابعته بالمسیر إلا اسبطرا
 مطلعا حوله قتادا وزهرا
 أو تقصى من سالف العمر ذكرا
 آنة أو مع التذكر عبرى
 لم أطالع مما يحدث سطر
 إليه فكيف يحفل سفرا ١٤

أهل الأرض

قالها وهو في العجترا يصف بؤاد الربيع ونشرت بالرسالة
بالمسند ٥٩ صفحة ١٣٨٤ في ٢٠ أغسطس ١٩٣٤

من غازل الروض حتى أفر جلدانا
ونضر الزرع فاخضرت لفاقفه
وأخرج الزهر من أقصى منابته
وصاح بالريح حتى قرئ ثائرها
وكفكف الغيث فانجابت عوارضه
وقشع السحب عن أفق السما فبدا
ورد غائل برد كاد يهلكنا
أهل الأرض مازالت كما عهدت
قد ظل ملتحفاً بالدجن محتجياً
حتى انجلى فبدا من طول لطفنا
وللطبيعة حسن حينما سمرت
ليست أقل بأرض الثلج فتته
وددت لما تمشى في الحزيرة لو
على أحب ملياً من مناهله
لوعثنا من جنوب الأرض مبتغياً
والشمس ترمى شواظاً من أشعتها

وكان متقبضاً بالأمس غضباناً
وانبت في الأرض أكاما وودياناً
فرصع العشب أشكالا وألواناً
إلا نسيما يعرف الزهر ملائنا
وكان لا يأتلى مطلقاً وتنتانا
طلقاً وأطلع وجه الشمس ضحياناً
عات ، وأرسل دفقا منه أحياناً
أم بدلتها جنود من سليمان ؟
حسن الطبيعة طول العام وسنانا
إليه آخذ بالألباب عرياناً
في الشرق والغرب ساب أينما بانا
منها بؤاد يغلى النخل والبانا
يتاح لي في حماها التخلد أزماناً
ويقتلى القلب من رياه رياناً
ثملاً ، بمعناً في السير إمعاناً
أنا ويفسر عني وقدها آناً

مقلقل الشخص تعلو بي غواربها ؛ حيناً وتبهط بي الأغوار أحياناً
 تبدو على الأفق الأطام مائلة خلف للزارع أمربا وأحدانا
 وقد علت بيننا الأبراج راسية طوت بموضعها دهرأ وحدنانا
 إذا هبطت قراها أو مدائننا رأيت خيراً وإثراء وعمرانا
 ماجت بمن ركبوا فيها ومن درجوا كالمثل تعمرو ألواذا وكتبانا
 وإن أوبت لأجضان الطبيعة لم ألاق أحق على الأبناء أحضاننا
 أهدت إلى وفودا من نساءها ترى ، وظلامن الأغصان فينانا

موقف من عطيل

(نطقت في انجلترا)

عطيل ذلك القائد المغربي الأسود الذى استبد به الشك فى
زوجته ديمونه وقد ساعدت فى تنمية هذا الشك النساءس
التي قام بها « باجو » حتى انتهى الصراع بأن قتل عطيل
ديمونه ؛ والقصة مسرحية من روائع شكسبير شاعر الانجليز
الأكبر وقد تناول فخرى أبو السعود شريحة نفسية من عطيل
بالتحليل الشعرى فكانت هذه القصيدة وهى هنا على لسان
عطيل

قليل رقاد الليل نأبى المضاجع	أبيت على مضى من الشك لاذع
ألا ليتنى لم أدر أنباء بغيها	ومنظر شيبات برأسى طوالع
وما سرها أنى بلونى معلم	لدى الحرب بطاش بكل مقارع
ولا أوبى بالغار فى كل موكب	ولا خطرني بين السيوف السواطع
فلم يشنها عهد . . وجن جنونها	بغض الصبا من قومها الصفر يافع
سباها بطبع منه هين ، ومنظر	طيرير ، وخلاب من القول رائع
ولم يبق لى فى قلبها اليوم موضع	وما كان فيه أمس إلا مواضعى
نعم هى تلقانى بنظرة مفرم	وبسمة مفتون وعطفة خاشع
نعم وهى تسقى خدوع رضاها	كما حجت الأنفى الخلوون بناقع
وتوشك - لولا الرشدا أن تستخفى	ويستل حقدى سحرها من أضالعى
ويوشك ذاك الحسن أن يستهزى	فأنسى لديها كيدها وهو فاجعى
أبسم لى غشا ! ومحض ودادها	لدى قاهرى فى حبها ومنازعى ١٩

لعمري ماذا يدعواني إذا خلت	إليه بمنأى عن رقيب وسامع
أتدعيني فدما ؟ ، أنفضين للفتى	بشجوى ولأوائى وجم مواجى
أيضحك من جهل ؟ أيزعم أنني	بليد غليظ الحس غير مدافع
حنائيكما قد جرتما وغلوتما	ورققا بهذا المستغر المخادع
سيأتيكما أمرى فيدري كلاكما	بأن حمى الوحشى ليس بضائع
سأتقع ممن خانت العهد غلى	وهيات ما غير الحمام بناقع
سأمنحها كأس المنيمة موقنا	بأنى لتلك الكأس أول جارح
سأسلمها للموت أول تادم	لتلك الحلى تقضى وتلك البدائع
سأقتل من لو أستطيع فديتها	بيت نياطى أوبق طلع الأخادع (١)

(١) العدد ٥١ من الرسالة السنة الثانية الصادر في ١٩٤٤/٦/٢٥ صفحة ١٠٦٩ .

الجندي القديم

ويصف بها جنديا بريطانيا يعيش على ماخيه العسكري كان
قد التقى به في إحدى الحدائق العامة ؛ وقد نشرها
بالرسالة بالمعد ٣٧ في ١٩ مارس سنة ١٩٣٤ .

لقد كان يوما شديد الأياد	رشيق القوام نصير الصبا
يقضي مع الصبح ساع السرور	وينهب والغيد صفو الهوى
وتحلو أحاديثه للرفاق	إذا جمعهم كثوس الطلى
ففيه ذات يوم نساء	إلى الحرب يدعو، فإلى النداء
ليحمي أوطانه في الحماة	وينرأ كيد علو طفنى
ويفتح الموت من أجلها	ويلقى الحديد ويصل اللقى
ويأخذ بين الصفوف مكان	الألى طحتهم تروس الرحي
فقسامى أذاها وأمسوالها	ودافع ماشاء أو لم يشا
وصادف في كل يوم حماما	وذاق من الخوف ألى ردى
فإذا كادت الحرب أن تنجلي	ويطرح الجند ذاك العنا
وآن له أن يعود قريرا	لأوطانه بعد طول النوى
أنيج له قاذف فرماه	بمارج نار إليه هوى
فطاح بساق له بسدما	ترامى قريبا بعيد المي
وأى فسؤاد وهى فائار	به الحشرات طوال المي
ولم يلر ثمت من ذا رماه	ولم يلر واطره من رمى
وما اجتمعا قبلها في مكان	ولا التقيا بعد ذاك اللقا

ولكنها عن ثم تهوى وآب بساق إلى قومه
فقلده الحاكون وساما وقالوا افتدى وطننا غاليا
وأجروا عليه الكفاف جزاء وعاد إلى داره مفردا
بجانب موقده بصطلى ذوى عوده وانحنى رأسه
وحيدا فبالصحب عنه اشتغال بدخن مسترسلا في الخيال
ويذكر وسط دخان الطباقي وكيف ألت به الغاشيات
وكم كر بين صفوف العدو ويروى وقائمه الرائعات
ويسردهن عليه مراراً ويسردهن على نفسه
فلن راح يبغي الرياضة يوماً فصاحبه كلبه في المسير

على خائضها هوى القضا وقد غيت أختها في الثرى
وأثنوا عليه جزيل الثنا بعضو ثمين فنعم القضا
على ماسعى وعلى ماجنى يقضى الحياة إلى المنتهى
بياض النهار وشرط الدجى وجلجل فوديه شيب بدا
بروم الصفاء ونشد الغنى ومستغرقا في قديم الرؤى
دخان الحروب وثار الوضى فخاض دجاها وكان الفقى
فأوقع في القوم ثم انثنى لأى أصاب وأى رأى
وهيات يسأم مما روى إذا هو لم يلق سمعاً وعى
ويبعث بالسير ميت القوى وعكازاته بحيث مضى

السجينة

قصيدة نشرت بالرسالة بالعدد رقم ١٢٢
الصادر في ٩ ديسمبر ١٩٣٥ ص ١٨٨٨

لك الله كم ذا تطمحين وأعزف
ويا نفس كم أزور عما أشتيه
وأحجم عما رمني فيه مقدماً
وأبدى سوى ماتضميرين مكثاً
نجنين تياما ووجداً ولهفة
وتخفين إشفاقاً وأبدى جلادة
كأنك في الجنيين منى سجينة
وتكبح عما تبغيه وتشتى
ظلمتك لم أظلم سواك من الورى
ظلمتك: لا يانفس: بل تظلميني
أما كل يوم مذهب لك شائن
أما كل آن غاية إثر غاية
وسيان محمود العواقب نافع
وهل أنا مستطيع رضاك لو أننى
ولو أننى عمرى أجاريك لم أعش
كلانا أيا نفسى بلاء نلحدنه
نعيش كأننا اثنان لم يتعارفا
ظلمتك خدنا صاحباً وظلمتى

وأثنيك عما تبغين وأصدف
وأعنى بما لا تشتهين وأكلف
وأقدم فبما تكرهين وأصرف
جوى لك في الجنيين لا يتكشف
وأظهر أنى الزاهد المتعفف
وأغلظ يانفسى عليك وأعنف
تعذب في ظلماتها وتخيف
وتقمع أشواق لها وتشوف
وما من خلالي قسوة وتعجرف
وأصفح عما تسلفين وأصدف
أما كل حين مأرب لك ملحف
أكلف في إدراكها ما أكلف
لديك ولمعوم المغبة متلف
على العالمين الحاكم المتصرف
عن النج إلا حائداً أتعسف
نعم وكلانا نأقم ومعنف
وما لهما في الدهر شمل يؤلف
فعل فراقاً آتياً هو أنصف

سل الجديدين

نشرت بالرسالة عدد ٩٩ صفحة ٨٦٩ في ٢٧ مايو سنة ١٩٣٥ .

على الحياة التي رافت مجالها	يحصى حصاها ولا تحصى مآسيها
ما كنت تلهو بما أبدت ظواهرها	لو كنت تنظر ما تنقى خوافها
تظل تعرض .. ألوأنا .. مقاتنا	وللشروع مجال في نواحها
تجاوز الحسن فيها والأسمى، ومشت	ما بين أفراسها الكبرى مناخها
يشقى ويفنى بنوها وهي لاهية	بدلها وحلاها عن ذرايحها

* * *

تروك الغابة الفيحاء ناضرة	يرف بالحسن عاليها ودانها
ويانع الزهر في أفنانها عقب	وريق المساء يجرى في مسارها
ويستبيك برود من نسائمها	هين ، وظل ظليل من حواشها
وبين أطواشها حرب مخلة	تعج ما بين ماضيها وآتيها
في عشها ، أو ثراها ، أو لفائفها	يكن رانحها شراً لغاديتها
وما اغتلى حبا إلا بها الكها	ولاسما نضرها إلا بلأويها
تغلغل الظلم في أحناشها ، وعدا	على الضعيف من الأحياء عاديتها
في كل طرفة عين ثم مهلكة	أو ثم معركة يا ويل صاليتها
تسقى وتألم آلاف مؤلفة	في كل آن وتردى في دياجيتها

* * *

وتمشق البحر في رجب وفي عظم	والبحر مطرد الأمواج طامبها
تلاعب الريح أحيانا غواربه	وساكب النور أحيالا يتاغبها

يصفوا الأصيل عليها والضحى : ولها
وتحت أثابجها حرب مؤرثة
وكم مآسى في قيماتها درجت
تردد وخرير في شواطئها
موصولة ليس ينجو الدهر واريها
وكم فجائع غابت في غواشها

* * *

سل الجديدين كم كرا على مهج
لو أطلق المرء لعين العنان على
ولو رثى لضحاياها العداد لما
ولو تدبرت النفس الحياة لما
نشيحها عن مآسها ونصرفها
مروعة عز في الأواء آسها
تلك المآسى لما جفت مآقيها
حلاله الشعر إلا في مراثيها
صحت من الهم لكنسا نماريها
لما نحب وترضى من ملاهيها

ساجى هذى الدار

وقد نشرتها الرسالة فى عددها رقم ١٥١
الصادر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ ص ٨٦٨

البدر فض غياهب الديبور
أضنى على وادى المتبة روعة
فازدادت الأجداث فيه مهابة
قوت : وقرت سامقات حولها
فكأنها فى صيتها ومثلها
وأوى الظلام إلى خرائب منزل
مقو من الأحياء ولموتى فلا
وأيت متند الخلى . . متأنيا
أجتاز فى وادى المنون مطهرا
متذكراً فيه وكم من عبرة
حيث الصعيد جماجم ومعاصم
حيث انطوت سيرغوال وانتهت
ونجت معارك لم يكفكفها سوى
ونجا ضرام محبسة وعداوة
أستخير الأجداث عما استودعت
ماذا صنعن بفاتن ومنم

وأذاب بلقة بحره المسجور
من صوب ضوء سال كالبثور
لما انجلت فى نوره المتثور
عطلن من نسم وسجع طيور
أشباح واد نازح مسحور
خلف القبور مهدم مهجور
هو فى القبور يرى ولا فى النور
أنسل بين حفائر وقبور
للنفس فيه أيماء تطهير
لمن ابتغى فيه ومن تذكير
وحياة صباب وأعين حور
أشغال أجيال وحرب عصور
حملات جيش للحمام مغير
وهوم أفئدة وداء صلور
من كل منخوب بها منخور
وجليل شيب جاءها وصغير

كم غيبت من كان مطمح مهجة ومناط آمال وعقد أمور
طوت الأليف فإذ بكاه إلفه ثنت برب المسمع المشور

• • •

سأجىء هذه الدار يوماً لاحقاً من غادروا بالقلب برح معير
ومخلفاً بعدى حزناً موجعا يبكى بلمع للفرق غزير
يبكى وما عبراته فى أوبقى بالشافعات ولا الردى بعذير
وتقر فى تلك الغيبة أعظمى من بعد كد دائب مكرور
يسلو بها قابى قديم آربي كانت ويتزع عن أمسى وخبور
غفلان عن سال للذكرى جامد أو جائد بفؤاده للقطور
ويطل ذاك البدر فوق زاهيا يجلو مسنانه غياهب الليجور

الموت

نشرت بمجلة الرسالة في عددها رقم ١٢٢ الصادر
في ٤ نوفمبر ١٩٣٥ من ١٧٨٨

أيا قادماً تخشى النفوس قدومه
قدومك تحرير الأسارى ولو حرت
كما ينكر الطفل الطيب وعنده
بلوت نفوس الخلق من عهد آدم
إذا قست الدنيا على متعب بها
وهن شفه قيط الحياة أغشته
فأنت لتضو العيش من دون صحة
وأنت دواء الجسم قد خيل داه
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة
وفيك ابتعاد عن جهالة جاهل
وعندك نسيان وطول زهادة
فأنت - وإن غلت المنى - أطيب المنى
لعمرك ما حى بأروح متزلا
ولو علم الخلق لما جاد حامدا
وتحميدك الحقد والخوف والألمى
وأنت تريح الفكر من كل معضل
وتطوى عن الأجفان صفحة عالم
وتطوى كتاب الألمس طيا وما مضى
حزاء لبعض الناس أنك قادم

لأنت صديق في ثياب غريم
لما أنكرتك النفس يوم قدوم
له برء أسقام ودمل كلوم
فأنت بها يا موت جد عليم
بسطت له لأيا جناح رحيم
يبرد نسيم في الأصيل رحيم
ومن دون قرياه أبر حميم
تميط الأذى عن موجد وسقيم
بواهى شكوك جمعة وهموم
وعن قول مأفون وفعل لثيم
لكل مراد في الحياة عقيم
وفيك نعيم المرء أى نعيم
على الأرض من بال بها وريم
على خصمه بالموت جود كريم
وكل بلاء في النفوس قديم
يظل له في حيرة ووجوم
ملء بأنواع الشرور ذميم
به من بغض ذكره وأليم
وأن شقاء العيش غير مقيم

الشعر

نشرت بمجلة الرسالة العدد ٢٢٢
في ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٧ ص ١٦٧

ألا يا صدي للنفس قد بات حاكيا تترجم عنها شجوها والأمانيا
تبوح بذكراها وتحكي شعورها وتروى رؤاها صادقا والمعانیا
وتكشف من أسرارها كل مبهم خبيرا بأغوار السريرة داريا
لأنك نديم النفس في صبواتها وإن عن خطب كنت أنت المؤاسيا
ألهامك في الأشجان يا شعر مفرع تدافع عنها اليأس بالبشر ماحيا
وأنت قرين اليأس والمجد والعلا وكم تلهم العليا وتوحى التساميا
وما أنت ألفاظ تصاغ لياقة ولكن شعور النفس قد فاض طاميا
معين بنفس المرء يجرى تفرقا إذا حسبه غيض جرجر داويا
أهاب به من حادث الدهر نازل فأقبل دفاقا يلي المناديا
وما كنت يوما ناظم الشعر إنما غدت له في صفحة الكون تاليا
أقلب من ديوان ذا الكون صفحة تلى صفحة أتلوه للناس راويا
صحائف ما تبلى على الأرض جدة وكم بات تالوها عظاما بواليا
صحائف حسن قد عبت صفاته وصورت منه في القصيد مجاليا
وأودعته آمال أمس وهمه وأيام حسن قد مضت ولياليا
إذا رحت أتلو ما خططت رأيتي كأني أحيا ذلك العهد ثانيا
وما العيش إلا أن ترى فتنة الوري وتودعها من بعد ذلك القوافيا

فلا عشت إلا ناظرًا متمليسا
يصور حسن الأفق بالشمس راويا
وأقدام طود حفرها الموج غاسلا
ويحكى اختلاف النور والظل والشذى
ويحكى خريف النهر يجري مسلسلا
أمير الفنون : الشعر ، جمع شملها
وفيه مجال للخيال وللمعب
ويمضي مع الأحلام في كل مله
ويخلق منها عالما بعد عالم
ويلفقه حب البعيد فيثنى
ويعمن في ماضى الزمان مجولا
ويجمع أطراف الحياة وتلتقى

أهنب شعرا يعرض الكون حاليا
ويرسم سحر البلر يغشى الدياتيا
وحامات مضب لفها الغيم كاسيا
ويحكى خضوق الفصن بالغيث ناديا
والحن طير بات في الفصن شاديا
وأترع منهن النفوس الصواديا
به الفكر يدنى كل ما كان نائيا
وترمى به شتى الطيوف المراميا
مليثا بأسباب الممرات حاليا
مع الريح يمضي أو إلى النجم راقيا
ويسير محجوبا من الغيب آتيا
على ورده الأجيال شتى تواليا

الفتى المرقى

ونشرت بالمسند ٧١ من الثالثة في
٧ مايو سنة ١٩٤٠ صفحة ٣٥

لقد جارت لياليه عليه ولم تذهب سنى الآمال؛ يمشى
يهرس إلى الحياة رضى كأن لم
إذا ما خف بشراً واختباطا
حسبت شوارد الآمال دانت
لقد قست الظروف عليه ظلما
وألفت روحه رهنا بسجن
تعانى ظلمة وتطل شوقا
ففى حلقومه نأى رخم
إذا ما رجع الأنفاس فيه
جاء بك صوته صعلدا وألقى
إذا زادوه ملحا زاد زهوا
ومال ترنحا يبنى ويمسرى
يرتل من كتاب الله ذكرا
وعى آى الكتاب فليس تخفى
حوى الفرقان ميراثا نفيسا
يرتله احتسابا واكتسابا
ويؤمن بالذى يتلوه حقا
ويؤمن أنه سيفوز يوما

فأذهبت السنى من مقلتيه
يضىء شعاعها فى جانبيه
تعبس وجهها فى ناظره
حسبت الكون طرا فى يديه
له وغدت أوابدها لديه
وحرمت المحاسن باصره
تعانى وحشة فى جانيه
على هذا الورى من محجبه
تخف النفس من طرب إليه
وقد دارت يداه بعارضيه
إليه الحفل طرا مسمعه
وهز من التخایل منكيه
وصمر فى التمتع أخذه
وعاه منذ شب بأصغريه
عليه آية فى دغيبه
تلقف كثره عن والديه
ونعمت صنعة فى راحتيه
وإن خفيت معانيه عليه
بنعمة ربه فى جنتيه

السفينة

(صورة من الميناء)

نشرت بالعدد ٣١ من النخلة اول أغسطس ١٩٣٩ صفحة ٣٩ .

أتوها خفافا فاستقلت بهم مهلا مفرقة شمالا وجامعة شمالا
يودعها بالشط حرى جوانح وترقبها في البعد أفئدة جذلى
فمن راحل بالشط غادر أهله إلى راكب قديم الصحب والأهلا
ولما قضوا حق العناق وكفكفوا غوارب دمع قد أزالوه فانهلا
وأرسل بالقبلات في الجو مرسل ولوح بالمنديل آخر غفصلا
تهادت بأهلها تشق طريقها من اليم لم تنكل ولا استثقلت ثقلا
مخلقة ذبلا على المساء مزبدا كما انساب ثعبان من الوكر فانسلا
وقد شق أجواز الفضاء صفيها كعمولة ثكلى وهى لا تعرف الثكلا
وما زال حتى غيب الثغر خلفها وغال النوى من خلفها الشطوالرملا
وحق ترامى الأفق من كل جانب يرد حسيرا ناظر المرء قد كلا
يمس نطاسقا حولها متجددا وهيأت تطويه وإن أمعنت عجلي
وإذ شمعت في لجة المساء ساقها كفتنا فلم نقل إلى غاية رجلا
يروح الفنى فيها ويقنو وما درى أقبل في طامى الأواذى أم ولى
يدبرها في رأس جوجوها امرؤ خبير بأوضاع الطريق فما ضلا
خفى كسر كامن في فؤادها يشارف أجواز العوالم من أعلى
إذا سايرتها الشمس تبسط ظلها على اليم لم تترك بناحية ظلا

وإن صاحبت بدير الدجى وهو ماكب سناه تهافت فى سنى البلر كالتملى
 كذلك تطوى اليوم والليل بعده وما استبعدت شأوا ولا استعظمت حملا
 إلى أن تراءى الثغر فى البعد باسطا ذراعيه فانقادت إلى حضنه مهلا
 وما هى إلا أن رمت بجموعها إليه فقابوا فيه وانشعروا سبلا
 وقرت لسديه تستجم لمقبل تجالذ فيه الريح والموج والويلا
 قضت دهرها فى رحلة إثر رحلة نحن إلى ظعن إذا آتست ظعنا

الجمجمة

وهله آخر قصيدة بعث بها الشاعر الى مجلة الهلال وقد
نشرت بعد وفاته في عدد ديسمبر ١٩٤٠ صفحة ٨٩ .

شوهاء حائلة الأوان نكراء
غشى معارفها من طول ما حملت
ناعت بعبء الثرى دهرًا وناء بها
جوفاء مصفرة من فطنة وحجى
فى العيش زاهدة والخلق قاطبة
تخال شاخصة الطرفين رائسة
خرساء ليست تحير القول ساهمة
إنى لأسمع منها وهى صامنة
نعم وأحسب أنى إذ أناطبها
تتلو على النفس من سامى مواعظها
قصت على تليدا من مآربها
لعل ذا الرأس قدما كان يعده
تحملت فى ثرى قبر عناصره
وبعثرت فى الثرى عليا مطامعه
أوعل ذا الرأس فى ما مضى بشاشته
كانت تروغ النهى قدما معارفه

أبلى محاسنها دهر وآنساء
من الجنادل والأحباب إعياء
من قبل ذاك لهم العيش أعباء
جدياء خاوية الأركان ظلماء
بها صدوف عن الدنيا وإغضاء
وعينا عن سنى الأضواء عشواء
لها مدى الدهر إنصات وإصغاء
وعظا من القول يلديه الألباء
نعى خفى خطابى وهى صماء
عجماء منخوبة الأكباب بكماء
آنى عليهن إصباح وإمساء
سامى ذكاء تنبى عنه سياء
وأطفئت روعة منه ولألاء
وكان من دونها بالأمس جوزاء
تاهت به قامة فى الغيد هيفاء
وتشتى لفتة منه وإيماء

وكان هذا الفم المقنوت منظره
وكان ذا الحجر المشنوء تسكنه
وكان غائر هذا الأنف مزدهيا
يفر من قبجه ذعراً أحبته
لقد سلا وسلوا في الترب وانشعوا
سلت شئون الورى في الرمس جمجمة
تخضر نامية من حولها ومن
وليس يكرثها في العيش ما فجأت
قد أسكت الموت أصداء الحياة بها

تبلو به سمة للعين غراء
دعجاء مرسله الأهداب حوراء
تعلوه أرنية بالحسن شماء
لوجاء ينظره اليوم الأحباء
ولاذ بالصمت أحباب وأعداء
قد بات يسعها وبل وأنداء
إذا تتابع وبل وهى صفراء
به البرية سراء وضراء
وللرياح بها إن تُحَنّ أصداء

الفصل الرابع

الشاعر الناقد

فقرات من مقالاته في النقد والأدب
تمثل وجهة نظره في الشعر والمجتمع

- ١ - رايه في الشعراء الماجنين من العرب القدامى
- ٢ - استبداد الملكية والحكم والره في تعويق الشعر العربي
- ٣ - اختيار الكلمات والبحر في الشعر وضرورته بالنسبة للموضوع

فقرات مختارة من آراء « فخرى أبو السعود » في الأدب
وصلته بالحياة الاجتماعية

- ١ -

في مقال نشره بالعدد ١٦٧ من مجلة الرسالة الصادر في ١٤
سبتمبر ١٩٣٦ صفحة ١٤٩ عن القول المكشوف في الأدبين العربي
والإنجليزي ، هاجم الكاتب بعض الشعراء العرب من أمثال عمر بن أبي
ربيعة ، وبشار ، وأبي نواس ، وقال عن دواوينهم : « . . إن هي
إلا استنثار بالقيم ، واستسلام للشهوات ، وتمدح بالمخازي » ثم قال
عنها إنها « محكمة الديباجة . . بارعة النظم . . متنوعة الأوزان
والقوافي ، تتخللها حكمة شاردة ، أو مثل سائر ، ليس للناظم
فيه إلا فضل التأتني في إعادة صوغه ، فإذا كان هؤلاء وأشباههم
من فحول الأدب العربي . . فما أقصره عن بلوغ المثل الأعلى
للأدب . . . »

ومدح الكاتب تأديب عمر بن الخطاب ، للحظية حين مس أعراض
الناس ثم قال : « . . ولكن هذا العمل السامى الجليل ، تنوسى
في غمار السياسة وجرفه تيار التكالب على الملك والسلطة ، فلم يعد
الخليفة أو الأمير يغضب ، إلا أن يتاله الشاعر ببذاءته ، فيشار بن برد
الذى ضجج عليه القوم ودهماؤهم من فجوره وإفدائه ظل معافى
ولم يمس بسوء حتى تمادت به جسارته إلى عرض الخليفة ذاته ،
أما مادام الشاعر ، متقيا غضب الحاكم أو مجتنبيا رضاه فلا ضير
عليه أن يرمى باللؤم أنصار الرسول أو يفضل إبليس على آدم أو
يتكلم بيوم الحشر أو يتفاخر بشرب الخمر أو يتلهى بسب الرجال وقذف
المحصنات ، أو يتباهى بالتسلل إلى الخلدور في غلس الظلام . . »

ويستطرد في هذا الحديث إلى أن يقول :

« . . إن الحكومة الفردية المستبدة قد حالت دون قيام رأى عام يقف للخارجين على تقاليده بالمرصاد ، بل كثيرا ما حمت الشعراء الملاجئين من غضبه . . »

- ٢ -

وفي مقال بعنوان « أثر نظام الحكم على الأدبين العربى والإنجليزى » وقد نشره الكاتب فى العدد ١٧٩ من الرسالة الصادر فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، جاءت هذه الفقرات وهو هنا يتحدث عن ملوك العرب . . ص ١٩٩ وما بعدها .

« . . ولم يكشف الملوك بكف الأدب عن نقد أعمالهم . . بل انحلوا رجاله أبواقا للتمدح بآثارهم ماصح منها وما بطل ، فكما انحلوا من مرتزقة الجند أنصارا لهم على إخضاع الرعية ، انحلوا من مرتزقة الشعراء أعوانا على تضليلها ، وقد هبط هذا الارتفاق بالأدب عن مكانته السامية درجات . . وحسبك أن يهبط الشاعر من قمة الفن والشعور والصدق ، إلى وهدة الشحاذة والتملق والكلب ، وهذه خلال تنزه عنها الأدب الإنجليزى فى أغلب عهوده ، لأن الشعب لم يمكن الملكية من ابتزاز ثمار اجتهاده وكده ؛ لتعثرها فى مظاهر الأبهة الجوفاء ، وتنثرها على المرتزقة من الجند والشعراء وفى سبيل استرضاء الحكام واستلزام صلاتهم ؛ لم يحجم كثير من الشعراء ، عن امتنان الفن من جهة ، فأذلوا الشعر وملئوه بالكاذب وعن امتنان الخلق الكريم من جهة أخرى ، فمدحوا الظالم والقاتل مادام فى دست الحكم . . »

ثم استطرد الكاتب فى وصف أعمال الحكام والشعراء حتى قال :

» . . وقد اتخذ الخلفاء ، والوزراء ، وسيلة لابتزاز أموال الرعية حتى إذا ما حان الحين . . فتكوا بهم واستصفوا أموالهم . . .

وعاد بعد فقرات يقول :

» . . ولا ريب أن غيرة الملوك على سلطانهم المطلق ، كانت من أسباب الانصراف عن ترجمة تراث اليونان الأدبي والتاريخي ، كما ترجم تراثهم الفلسفي إلى العربية .. لأن هذا الأخير ، مشحون بالنظريات والقضايا الخيالية التي لا تعرض لسلطانهم بسوء ، على حين أن تراث اليونان الأدبي حافل بمظاهر الديمقراطية وآثار اشتراك الشعب في حكم نفسه ، فالمملكة أكثر تسامحاً مع العلماء وتشجيعاً للعلوم التي تدرس ظواهر الكون العامة منها إلى الآداب ، التي تترجم عن مشاعر النفوس ، ولا شك في أن اطلاع الإنجليز على آداب الإغريق وتاريخهم كان من عوامل تشبههم بحقوقهم . .

وهكذا كانت الملكية المستبدة من أسباب حرمان الأدب العربي من الأثر اليوناني الذي استفاد منه غيرهم . . .

- ٣ -

ومن مقال له بعنوان « التصوير في الشعر العربي » بالعدد ٤٤ من الرسالة الصادر في ٧ مايو سنة ١٩٣٤ تناول فيه الأوزان العربية وضرورة حسن اختيار الشاعر للبحر والكلمات المناسبة لموضوع قصيدته :

» .. ونرى البحر الطويل يؤدي الغرض ويرسم صورة رائعة في قول جميل » (بثينة)

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث يبتنا وسالت بأعناق المطي الأباطح
فهنا حركة الإبل البطيئة واضحة ماثلة ، وقد كان (جميل) ملهما

حيث ذكر كلمة أعناق في البيت الثاني ، فلأنها وحدها ترسم الصورة التي أراد ، فإن ذكر الجزء الأهم من الصورة كثيراً ما يبعث إلى الخيلة ببق الأجزاء ويبرز الصورة جليلة كاملة .

ويترك البحر الطويل مثل هذا الأثر أيضاً في قول البارودي الذي أشار إليه الدكتور صبرى في كتابه عن الشاعر (ونبهنا وقع الندى في خميلة) فإذا قرئ هذا الشطربتان وجدنا الوزن يمثل تساقط قطرات الندى متتابعة ، أما الحركة السريعة فيمثلها البحر الكامل ، ومن ذلك قول المتنبي :

أقبلت تبسم والحياد عوابس يخين بالخلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عشيروا لو تبغى عنقا عليه لأمكننا

ففي البيت الثاني نرى مبالغة أخرى من مبالغات المتنبي ، وهي وحدها لا تكاد تؤدي معنى ، لكن البحر الذي صيغت فيه القصيدة يؤدي خيب الجياد خير أداء ، حتى ليكاد يريك توثب الفرسان فوق ظهورها ، ولوحاول الشاعر وصف الخيب في البحر الطويل لما استقامت صورته ، ولتكرار الألفاظ أو التعميمات أحيانا أثر بليغ في إبراز الصور وبعث الأرخلة ، ففي قول ابن هاني الأندلسي :

وصواهل لا الهضب يوم مفازاها هضب ولا الوعر الحزون حزون
يوحى تكرار كلمتي : هضب وحزون إلى اللخيلة تتابع الهضاب والربا في أثناء عدو القرم فكأنه يعرض أمام العين شريطاً سينمائياً متحركاً ، أضف إلى ذلك صوغ البيت في البحر الكامل ، واختيار الكلمات الفخمة .

وفي قول الأستاذ المازني :

لغط اليم إذا اليم طما والتقت فيه هضاب بهضاب

نرى صورة رائعة لجيشان اليم ولا يرجع هذا إلى معنى البيت وحده ولكن إلى وزنه وألفاظه كذلك ، فبحر الرمل يمثل الحركة

المتضاربة أدق تمثيل ، وتكرار كلمتي اليم وهضاب يوحى إلى
المخيلة تتابع اللجج ، وتكرار حرف الهاء ثلاث مرات في الشطر الثاني
يزيد الحركة تصويرا وبروزا . .

ووفخرى ، في هذا المقال يوجه نقده المر للذين اتجهوا إلى الانظف
فحسب ووجهوا إليه عنائهم المطلقة فيقول عنهم لمنهم « ولعوا
بالألاعب التي سموها محسنات ، وأوغلوا في هذه الغثائث على أجل
فنون الشعر خطرا كالرثاء والنسب فأسفت وانعدم فيها الحس والشعور
فرأينا شاعرا ينسب فيقول :

ناظراه فيماجنى فاظراه أو دعاني أمت بما أودعاني

وأخر يتوجع فيقول :

لى مهجة في التازعات وعبرة في المرسلات وفكرة في هل أتى

وثالث يمدح فيقول :

وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له ..

ثم يدافع في المقال نفسه عن اللغة العربية وطواعتها فيقول ،
« . . . وليس في طبيعة اللغة العربية قصور يحول بينها وبين
مجاراة اللغات الأخرى في هذا الباب بل لها من الميزات ما يقدمها على
غيرها ، فهي كثيرة البحور التي يؤدي كل منها غرضا مختلفا ،
غزيرة الألفاظ الوعرة الضخمة والريقة اللطيفة ، التي توحى بنشوتها
أو برقتها مختلف الصفات ، غنية بالحروف السلسة اللينة والحروف
الخشنة الجافية التي تطاوع الناظم التقدير .

ليس يعوز العربية شيء من ذلك وإنما يعوزها الجحراة من
الناظمين بها والعزم والجلد . . . ويتابع مقالاته في الموضوع فيكتب
في العدد ٤٩ من الرسالة الصادر في ١١ يونيو ١٩٦٨ :

• : : إن العرب اتصلوا بالثقافة اليونانية في غير الوقت الملائم ،
في وقت متأخر كان أدبهم فيه ، قد نضج وقوى وصار له من
الاعتداد بنفسه ما يشبه عن التلمذ لغيره ، أما الآداب الغربية
فعرفت تلك الثقافة في عهد طفولتها ونشأتها وهي لما نزل عاجزة ،
وتتلطف إلى المعرفة حيث وجدت ، فلم تتردد في الانتفاع بتراث
اليونان إلى أبعد حد فأثرت بما أخذت عن اليونان من المواضيع
والأشكال الأدبية ، وبذلك وجدت في تاريخ اليونان وأدبهم وأساطيرهم
وفنونهم من صور ونماذج وآثار ، متاحة للكتابة والدرس والنظم ،
ومنابع للوعى لانتصب . •

حياة فخرى أبو السعود في سنين

— ولد فخرى أبو السعود سنة ١٩١٠ وعاش بالقاهرة في عائلة ريفية أصلها من ينها .

— تعشق الأدب العربي صغيرا حتى حفظ ديوان البارودي وعنتاراته ، ووعى كثيرا من الشعر القديم : الجاهلي والإسلامي وظهر أثر ذلك في كتاباته النقدية فيما بعد .

— وبعد أن أتم تعليمه الثانوى التحق بمدرسة المعلمين العليا حيث تخرج فيها سنة ١٩٣١ .

— اشتغل أياما بالصحافة ثم مدرسا بالتعليم الحر .

— نجح في امتحان أقامته وزارة المعارف لاختيار أحسن العناصر التى تصلح لتدريس اللغة الإنجليزية وإيفادها إلى إنجلترا في بعثة دراسية .

— سافر هو وزميله الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلى إنجلترا سنة ١٩٣٢ حيث التحق بكلية مدينة اكستر في مقاطعة ديفونشير وهناك ترجم رواية : (تس . سليلة آل ديرفيل) وبعث من هناك بعدد من قصائده إلى الرسالة ، لنشرها ، ويتميز أغلبها بالطابع الوطنى الملتب ، وقد اخترقا بعضها في ملحق هذا البحث .

— تزوج من زميلة إنجليزية كانت تدرس معه في الكلية وأنجب منها طفلا وحيدا .

— عاد من إنجلترا في أكتوبر من سنة ١٩٣٤ حيث عين مدرسا للغة الإنجليزية بمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية وظل بها حتى سنة ١٩٣٨ ، وقد نشر في هذه الفترة أكثر إنتاجه الشعرى والنقدى في مجلة الرسالة ، كما أصدر كتابه عن الثورة العراقية .

— انتقل إلى مدرسة الرمل الثانوية بالإسكندرية وكانت قد حدثت جفوة بينه وبين الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير الرسالة ، فانتقل بقباشطه الأدبي والشعري إلى مجلات الثقافة والمقتطف والحلال وإلى صحيفة الأهرام وقد ألف في هذه الفترة كتابين الأول : عن « الخلافة والسياسة » والثاني دراسة عن محمود سامي البارودي ، وتقدم بهما إلى وزارة المعارف في مسابقة كانت الوزارة قد أعلنت عنها بين المدرسين وفاز فيها « فخرى أبو السعود » بجائزتين رئيسيتين ، وقد تسلم جائزتين مائيتين مع من فازوا في حفل أقامته الوزارة بدار الأوبرا في أكتوبر من سنة ١٩٣٩ ، وأعلنت الوزارة عن اعترافها بطبع الكتابين ولكنها ظلا في أدراجها إلى الآن .

— سافرت زوجته وابنها لزيارة أهلها بإنجلترا في أواخر سنة ١٩٣٩ ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت دون عودتهما .
— مات ابنه في حادث غرق سفينة الأطفال الإنجليزية المذهبة إلى كندا وانقطعت أخبار زوجته .

— أطلق النار على رأسه من مسدسه بحديقة داره صبيحة ٢١ أكتوبر ١٩٤٠ وقد نشر ذلك في الرسالة والثقافة وبعض الصحف اليومية والمجلات الصادرة في ذلك العهد .

— قالت أسرته في نعيه النشرة بالأهرام صبيحة ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ إنه مات قضاء وقبرا برصاصة طائشة انطلقت من مسدسه في أثناء محاولته إصلاحه .

— ترك مجموعة طيبة من المقالات النقدية الممتازة كان الأستاذ أحمد حسن الزيات أعلن أنه سيجمعها في كتاب ولكنها ظلت إلى الآن مطوية ضمن مجلدات الرسالة المحفوظة .

— ترك مجموعة كبيرة من القصائد منشورة في الرسالة والثقافة والحلال والمقتطف والأهرام تكفي لديوان كبير ولسكنه لم يجد السبيل إلى النشر وأرجو أن أوفق لجمعه وتحقيقه إن شاء الله .

المراجع

- ١ - ذكرياتي ومشاهداتي الشخصية .
- ٢ - روايات بعض المعاصرين من زملاء العمل أو الجيرة .
- ٣ - مقال الدكتور زكي نجيب محمود نشره بمجلة الثقافة العدد ٩٦ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ .
- ٤ - مقال للأستاذ أحمد فتحي مرمي ، نشره بمجلة الرسالة العدد ٣٨٣ الصادر في ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ .
- ٥ - مقال للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، نشره بمجلة الثقافة العدد ٩٨ الصادر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ . ثم ضمنه كتابه « أعلام من الشرق والغرب » الذي نشرته دار الفكر العربي سنة ١٩٥٠ .
- ٦ - مقال في كتاب « تماثيل مكسورة » ضمن سلسلة اقرأ للأستاذ رجاء النقاش .
- ٧ - مجلدات الرسالة منذ صدورها حتى سنة ١٩٣٧ ، وسنة ١٩٤٠ فيها يختص بمقالات زملائه عنه أو رثاء المحالة له .
- ٨ - مجلة الثقافة سنة ١٩٣٩ ، سنة ١٩٤٠
- ٩ - مجلات الهلال والمقتطف وصحيفة الأهرام وقد أشرنا إلى تواريخ صدور المجلات التي رجعنا إليها في هوامش البحث .

الحوادث التاريخية

١ - ذكرياتي ومشاهداتي الشخصية .

٢ - بالنسبة للوثائق والنصوص المحددة والأرقام وتحديد التواريخ ،
رجعت إلى الجزء الثاني من كتاب : « في أعقاب الثورة المصرية » للأستاذ
عبد الرحمن الرافعي .

المحتوى

الموضوع	الصفحة
١ — مقدمة	٥
٢ — فخرى أبو السعود والإسكندرية	٩
٣ — مع الشاعر في مأساته	١٣
٤ — الاتجاهات الشعرية عند فخرى أبو السعود	٣٥
(أ) ثائر بلا صدى	٣٨
(ب) حواء والشاعر	٦٢
(ج) الشاعر الوصاف	٧٤
٥ — مختارات من شعر فخرى أبو السعود	٨٣
(أ) قصيدة يوم التل	٨٥
(ب) قصيدة بنى مصر	٨٩
(ج) جبل طارق	٩١
(د) في الخريف	٩٣
(هـ) أهذه الأرض؟	٩٥
(و) موقف من عطيل	٩٧
(ز) الجندي القديم	٩٩
(ح) السجينة	١٠١
(ط) سل الحديدین	١٠٢
(ی) ساجي هذى النار	١٠٤

الموضوع	الصفحة
(ك) قصيدة الموت	١٠٦
(ل) الشعر	١٠٧
(م) الفقى المقرئ	١٠٩
(ن) السفينة	١١٠
(س) الجمجمة	١١٢
٦ - فقرات من مقالاته فى النقد والأدب	١١٥
(أ) نقد الما جنين من الشعراء العرب	١١٧
(ب) أثر نظام الحكم على الشعراء العرب	١١٩
(ج) ضرورة اختيار الكلمة فى الشعر العربى	١٢٠
٧ - فخرى أبو السعود فى سطور	١٢٣

stx.
785
9
78q
3



0535121

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثنى • ٤ قرشا